

# دروس وعبر من

# التاريخ الإسلامي

## غزوات ومعارك

إعداد
قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ




# التاريخ الإسلامي

## غزوات ومعارك

إعداد

شعبة التبليغ

في

قسم الشؤون الدينية



اسم الكتاب: دروس وعبر من التأريخ الإسلامي (غزوات ومعارك).

إعداد: شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية.

الناشر: العتبة العلوية المقدسة.

المراجعة: شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية.

الطبعة: الأولى.

سنة الطبع: ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.

قياس: ١٧ × ٢٥.

عدد الصفحات: ١٩٢.

عدد النسخ: ٥٠٠٠.

الموقع الإلكتروني: www.imamali.net

البريد الإلكتروني: tableegh@imamali.net

موبايل: ٠٧٧٠٠٥٥٤١٨٦

## المقدمة:

إن المتأمل في التأريخ الاسلامي، يجد صفحاتٍ ناصعةً من سيرة المعصومين عليهم السلام تضيئ له دربه، وتبعث فيه الأمل في المستقبل، والفخرَ والاعتزازَ بما يملك من رصيد ضخم من القيم والآداب، ومن جملة مفاصل تأريخنا الإسلامي التي أخذت حَيِّزاً كبيراً من صفحاته هي المعارك الإسلامية التي خاضها المسلمون في زمن النبي صلى الله عليه وآله، أو في زمن أمير المؤمنين عليه السلام، فهي وإن وُجِّهَتْ إليها سهام النقد بهدف الطعن على أصل الدين الجديد، والنيل من صورته المشرقة، بمحاولة إلصاق صفة العنف عليه، وأن انتشاره كان عن طريق السيف، إلا أن التأمل المنصف في مناشئ هذه المعارك ومعرفة ملابساتها وحيثياتها يخرج بالباحث والمفكر بنتيجة هي: إن الإسلام ليس ديناً يعتمد على العنف ويربي ابناءه عليه، بل هو دين الرحمة والسلام والخُلُق الرفيع، الذي حاول الحفاظ على هذه المبادئ في كل مفاصل تكونه ومسيرته الطويلة عن طريق حمل مبادئه من قبل قادته الربانيين، وهم: النبي، مؤسس هذا الدين صلى الله عليه وآله، وخلفاؤه المعصومون عليهم السلام، لا سيما أمير المؤمنين عليه السلام، الذي ابتلي في زمنه بحروب متتالية من قبل المنافقين والناقمين عليه، لا لشيء إلا لأنه المُجَسِّد الحقيقي لقيم الإسلام، والذي لا تأخذه في الله لومة لائم، فهَيَّئُوا الأجواء لحروب مستمرة تثقل كاهل الدولة، وتبعد قائدها العظيم عن ممارسة الإصلاح في الأمة ونشر المعرفة والأخلاق فيها، وهو مالا يصب في مصلحتهم فتشتت قواه (سلام الله عليه) في رد سهام الناكثين، والمارقين،

والقاسطين، عن بيضة الإسلام ومجابهة الانحراف الفكري الذي صاحب معاركهم، فكان بحق حامياً فذاً عن دين الإسلام وقيم الرسالة المحمدية الخاتمة، فهو الامتداد الطبيعي لنبي الإسلام صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الذي نشر الدين بخُلُقه العظيم الذي أقره الله تعالى بقوله: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ في جميع مجالات سيرته العطرة، سواء في السلم أو الحرب.

فكان أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بذلك محققاً لما أخبره به النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بقوله: (إن فيكم من يقاتل بعدي على التأويل كما قاتلت على التنزيل، قيل يا رسول الله من هو؟ قال خاصف النعل، يعني: أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ)[1].

وهذه الصفحات -عزيزي القارئ- هي لبعض المعارك التي خاضها المسلمون في زمن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وزمن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ نستعرض فيها أحداثها لنخرج منها بحصيلة مفادها: أن الإسلام كان دينَ قِيَمٍ وفضيلة، وقد تمسك بهذه القيم وتلك الفضيلة في جميع مفاصل مسيرته، فزرعها في قلوب المسلمين، فأتت أُكُلها قِمَماً شامخة، وقاماتٍ فذة من الرجال الربانيين، والقادة المجاهدين، وذوي البصائر والحِجى.

ونكون بذلك قد ساهمنا -في هذه المناسبة- بالتذكير بماضينا المجيد وتأريخنا العريق.

نسأل الله أن يأخذ بأيدينا إلى ما فيه عز الأمة وشموخها، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

شعبة التبليغ

٥/ رجب الأصب/ ١٤٤٠هـ

١٣/ ٣/ ٢٠١٩م

(١) الخصال، الشيخ الصدوق: ص٢٧٦.

# غزوة بدر الكبرى

على مدى ثلاث عشرة سنة كان النبي ﷺ يجاهد من أجل نشر الإسلام وأحكامه في مكة. إلا انه لم يجد أرضاً خصبة لإنبات هذه البذرة ونموها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقده لأهم ناصرين له وهما عمه أبو طالب، وزوجه أم المؤمنين عليها السلام، لذا كان الأمر الإلهي بالهجرة إلى المدينة المنورة، وبوصول النبي الأعظم ﷺ إلى المدينة بدأت حقبة جديدة، أسس خلالها ﷺ دولته دولة الإسلام الخالد. نعم، هاجر النبي ﷺ والمسلمون تاركين أموالهم وما يملكون في مكة، فما كان من قريش إلا أن صادرت هذه الممتلكات واستولت عليها. وبعد أن استقر النبي ﷺ في دار هجرته، أخذ يؤسس دولته الإسلامية ويعزز كيانها حتى تميزت بعد السنة الثانية بمميزات عدة منها: أن النبي ﷺ أخذ بالضغط على قريش وذلك من خلال إرسال السرايا إلى خارج المدينة والتعرض للقوافل التجارية التابعة لقريش، وهذه السرايا تمثل استعراضاً عسكرياً ومناورات حربية هدفها إرسال رسالة إلى المشركين، بأن المسلمين لديهم القدرة والقابلية على المواجهة، كما أنهم قادرون على تغيير الخارطة وميزان القوى في المنطقة، ولهم القدرة على تهديد تجارة قريش واعتراضها. لم يكن هدف النبي ﷺ من بعث السرايا الحصول على الأموال، بل كان الهدف جمع المعلومات عن العدو ورصد تحركاته، وبيان أن المسلمين قوة فاعلة في

المنطقة، وتشكيل ضغط على قريش للاعتراف بالإسلام والمسلمين وعدم إلحاق الأذى بهم، وإعلام قريش بأن طريق تجارتهم أصبح في متناول يده، وبالتالي استطاعته أن يشل اقتصاد قريش.

كما أن من المميزات والأحداث العظيمة التي حدثت في هذه السنة، والتي لها أثر كبير في حياة الإسلام والمسلمين هي واقعة بدر الكبرى، ويعبّر عنها بالغزوة، والغزوة مصطلح درج عليه أهل التاريخ ويراد به المعركة التي كان يقودها النبيﷺ بنفسه. مثل غزوة العشيرة، التي كانت بقيادتهﷺ، ووادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة ثمّ رجع إلى المدينة، ولم يلق كيداً، وفيها كنّي عليعليه السلام بأبي تراب. أما السرية فهي التي لم يشترك بهاﷺ بنفسه بل يعين لها أحد القادة، كالسرية التي بعثهاﷺ بقيادة حمزة بن عبد المطلب وعقد له أول لواء عسكري، وغيرها من السرايا.

## تاريخ غزوة بدر:

في السنة الثانية، السابع عشر من شهر رمضان المبارك كانت غزوة بدر الكبرى بين المسلمين ومشركي مكة، قرب بئر ماء تدعى (ماء بدر) على بعد (١٦٠كم) من المدينة تقريباً بين مكّة والمدينة، خرج الرسول الأعظمﷺ ومعه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أصحابه، عدد أصحاب طالوت، وكان معهم من الإبل سبعون بعيراً يتعاقبون عليها، الإثنان والثلاثة، وكان معه من الخيل: فرس للمقداد قطعاً بإجماع المؤرخين، وخرجت قريش بألف مقاتل تحمل أحقادها وكبرياءها، فجاءت ونزلت قرب ماء بدر.

## تحليل:ـ

لقد كان لا بد للمسلمين من الاستفادة من حق الدفاع عن النفس في مقابل المكيين، الذين كانوا يفتنون المسلمين عن دينهم، ويصدون عن سبيل الله، ومن حق كل أحد: أن يسعى بالطرق المناسبة، من أجل أن يمتلك حرية الرأي، والفكر، والعقيدة، وحرية الدعوة إلى الله، ولا سيما حين يكون الطرف الآخر مصراً على استعمال العنف، وكافة الأساليب الخارجة عن أنماط السلوك الإنساني، فالإسلام لا يريد أن يجبر أحداً على الدخول فيه، وإنما يريد أن يحصل على الحرية في الرأي وفي الاعتقاد، وفي الموقف، وحتى حين ينتصر على أعدائه، فإنه يضع أمام من ينتصر عليهم عدة خيارات، ليس اعتناق الإسلام إلا واحداً منها، وكان من يعتنق الإسلام يعتنقه بملء رغبته، وحريته، وإرادته، ومن دون أي ضغط من قبل المسلمين، ولقد اعتنقت كثير من البلدان الإسلام بمجرد اطلاعها عليه، من دون انتظار الفتح الإسلامي.

ولكن ذلك لا يعني أن يقف الإسلام والمسلمون مكتوفي الأيدي أمام أي اضطهاد، أو اعتداء، أو ظلم يمارس ضدهم، وأن يخضعوا لضغوط ولإرادات الآخرين، الذين لن يرضوا إلا بالقضاء على الإسلام والمسلمين نهائياً. كما أن ذلك لا يعني أن لا يعد المسلمون لأعدائهم ما استطاعوا من قوة، ومن رباط الخيل يرهبون به عدو الله وعدوهم، لأن الإسلام الذي يدعون إليه، ويطالبون بحرية التفكير والنظر فيه، ليس مجرد طقوس فردية، وتزكية نفسية، وإنما هو نظام عام شامل يريد أن يقود عملية تغيير شاملة على مستوى العالم بأسره، الأمر الذي يحتّم أن تتوفر الحماية الكاملة لهذا الإسلام، الذي لا بد أن يصطدم بأصحاب الأطماع، والأهواء، وبالجبارين الذين يحكمون

الناس بوحي من مصالحهم ورغباتهم. نعم، لا بد من الحماية الكافية ولا بد من استعمال أسلوب القوة إذا لم يمكن تأمين حرية الفكر، والرأي، والعقيدة إلا بذلك، وليوجد من ثم الجو والمناخ المناسب لتطبيق الجانب التشريعي للإسلام.

فالمسلمون إذا قاتلوا، فإنما يقاتلون انطلاقاً من حقهم الذي جعله الله لهم، ومن أجل ذلك الحق وفي سبيله، وطلباً له، على حد تعبير الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في قوله لعلي عليه السلام، وحمزة وعبيدة: (فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم)؟، وكما قرره الله تعالى حيث يقول: ﴿**أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللهَ**﴾[1]، فالإذن بالقتال للمسلمين إنما هو في صورة كون غيرهم قد بدأهم به، بالإضافة إلى كونهم قد أخرجوا من ديارهم.

## ما هو الحق الذي جعله الله عزوجل للمسلمين:

الحق الذي أشار إليه النبي صلى الله عليه وآله هو حق حرية الرأي والعقيدة، وحق الدفاع عن دين الله، وعن النفس، وردّ البغي والعدوان في مقابل القرشيين الذين عذبوهم، وأخرجوهم من ديارهم، وسلبوا أموالهم، بل وقتلوا منهم من قتلوا، وبغوا عليهم أقبح البغي؟!. وخلاصة الأمر: أنهم يريدون أن يعيشوا أحراراً، وأن يدافعوا عن دين الله في مقابل من يريد الاستمرار في الانحراف والتعدي. وللمظلوم حق في أن يطالب بإنصافه من ظالمه، والباغي عليه، نعم، قريش أرادت إطفاء نور الله، وأصرت على حرب المسلمين وإذلالهم.

---

(١) سورة الحج: آية٣٩-٤٠.

## مقدمات الغزوة:

وذلك أن العير التي طلبها المسلمون في غزوة العشيرة وأفلتت منهم إلى الشام، ظل النبي صلى الله عليه وآله يترقبها، حتى علم بعودتها، وكانت بقيادة أبي سفيان، ومعه بين ثلاثين إلى سبعين راكباً. وفيها أموال قريش، حتى قيل: إن فيها ما قيمته خمسون ألف دينار، في ذلك الوقت الذي كان فيه للمال قيمة كبيرة، فندب رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين للخروج إليها، يقول عدد من المؤرخين: وأبطأ عن النبي صلى الله عليه وآله كثير من أصحابه، وكرهوا خروجه، وكان في ذلك كلام كثير واختلاف. وتخلف بعضهم، كعثمان بن عفان الذي تخلف عن بدر في جملة من كرهوا الخروج مع النبي صلى الله عليه وآله. ويؤيد ذلك عدة أمور منها: أن عبد الرحمن بن عوف - وهو اخو عثمان بالمؤاخاة - قد عيّره بالتخلف عن بدر، فقد ذكروا أن عبد الرحمن لقي الوليد بن عقبة، فقال له الوليد: ما لي أراك قد جفوت عثمان؟ فقال له عبد الرحمن: أبلغه أني لم أفر يوم عينين -يوم أحد - ولم أتخلف يوم بدر. ونلاحظ أن مؤرخي السلطة رووا أن عثمان اعتذر عن تخلفه يوم بدر بتمريضه رقية[1].

لكن الحقيقة غير ذلك وهي أن هناك صحابي آخر تأخر عن الخروج مع النبي صلى الله عليه وآله لتمريض أمه، فأمره النبي صلى الله عليه وآله بالمقام معها، وهو أبو امامة بن ثعلبة، وقد ضرب له النبي صلى الله عليه وآله بأجره وسهمه[2].

وقد حكى الله تعالى في كتابه الكريم كراهة البعض للخروج، فقال: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ

(١) مسند أحمد، ابن حنبل: ج١، ص ٦٨ وص٧٥.

(٢) راجع الاستيعاب، ابن عبد البر: ج٤، ص١٦٠١.

يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾[١]

نعم لقد كرهوا ذلك لعلمهم بأن قريشاً لن تسكت على أمر خطير كهذا.

## أبو سفيان ينجو:

غيّر أبو سفيان طريقه واتجه نحو الساحل بعد أن عرف بمسير المسلمين للاستيلاء على القافلة، وأرسل إلى قريش من يخبرهم بتعرض النبيﷺ لقافلتهم، فجاءهم النذير يناديهم: يا آل غالب، يا آل غالب، اللطيمة، اللطيمة، العير العير، أدركوا، وما أراكم تدركون، إن محمداً والصباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرضون لعيركم، فتهيأوا للخروج، وما بقي أحد من عظماء قريش إلا أخرج مالاً لتجهيز الجيش، وقالوا: من لم يخرج نهدم داره، وخرج معهم العباس بن عبد المطلب...، وأخرجوا معهم القيان يضربون الدفوف[٢].

وخرج رسول اللهﷺ في ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، فلما كان بقرب بدر أخذ عيناً للقوم فأخبره بقريش، فأمر بحبسهم، فحبسوا، فعلم مشركو قريش، ففزعوا، وندموا على مسيرهم، حيث إنهم بعد أن علموا بنجاة العير أصروا على المجيء إلى بدر لتهابهم العرب. وقد اعترف عتبة بن ربيعة، الذي كان ولده أبو حذيفة مع النبيﷺ: بأن مسيرهم بعد نجاة عيرهم كان بغياً منهم وعدواناً، وبذلت محاولة للاتفاق على الرجوع، لكن أبا جهل أبى ذلك،

(١) سورة الأنفال: آية٥ – ٦.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج١٩، ص٢١٦.

وقال: لا، واللات والعزى، حتى نقحم عليهم بيثرب، ونأخذهم أسارى، فندخلهم مكة، وتتسامع العرب بذلك، ولا يقوم بيننا وبين متجرنا أحد نكرهه. فخاطب النبيﷺ قريشاً قائلاً: (يا معشر قريش إنّي أكره أن أبدأكم، فخلّوني والعرب وارجعوا)[١].

## أهداف الحرب:

الملاحظة الهامة هنا هي: أن النبيﷺ يصرح بأن حرب بدر حرب مصيرية، وأن هدفه من هذه الحرب هو التمكين لعبادة الله تعالى، وليس عبادة الذات، أو المال، أو الجنس، أو الجاه، أو السلطان، ولا غير ذلك. إنّ هدف الحرب الهداية والإصلاح لا الإبادة والانتقام، ولذلك أنزل الله تعالى على نبيه، ﴿**وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[٢]، أما هدف المشركين، فهم أنفسهم قد أفصحوا عنه، وهو لكي تهابهم العرب، وأن لا يكون بينهم وبين متجرهم أحد يكرهونه.وشتان ما بين الهدفين، وكذلك ما بين نتائج الحرب.

## النبيﷺ يطلب المشورة:

لما كان المسلمون قرب بدر، وعرفوا بجمع قريش، ومجيئها، خافوا وجزعوا من ذلك، فاستشار النبيﷺ أصحابه في الحرب، أو طلب العير، فقام أبو بكر، فقال: يا رسول الله، إنها قريش وخيلاؤها، ما آمنت منذ كفرت، وما ذلت منذ عزت، ولم تخرج على هيئة الحرب، فقال له رسول اللهﷺ:

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٥٤، ص٢٧٣.

(٢) سورة الأنفال: آية٦١.

إجلس، فجلس، فقالصلى الله عليه وآله: أشيروا عليَّ، فقام عمر، فقال مثل مقالة أبي بكر، فأمره النبيصلى الله عليه وآله بالجلوس، فجلس. ثم قام المقداد فقال: يا رسول الله، إنها قريش وخيلاؤها، وقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله، والله لو أمرتنا: أن نخوض جمر الغضا -الغضا شجر من الأثل خشبه من أصلب الخشب-، وشوك الهراس لخضناه معك، ولا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿**فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾[١] ولكنا نقول: اذهب أنت وربك؛ فقاتلا، إنا معكم مقاتلون، والله لنقاتلن عن يمينك وشمالك، ومن بين يديك، ولو خضت بحراً لخضناه معك، ولو ذهبت بنا برك الغماد -يعني مدينة الحبشة- لتبعناك. فأشرق وجه النبيصلى الله عليه وآله، ودعا له، وسر لذلك، وبهذه الكلمة غيّر الموقف وأعطى المقاتلين عزماً وإقداماً، ثم قالصلى الله عليه وآله: أشيروا عليَّ - وإنما يريد الأنصار، لأن أكثر الناس منهم، ولأنه كان يخشى أن يكونوا يرون: أن عليهم نصرته في المدينة، إن دهمه عدو، لا في خارجها، فقام سعد بن معاذ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، كأنك أردتنا؟فقال: نعم. فقال: فلعلك قد خرجت على أمر قد أمرت بغيره؟ قال: نعم. قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إنا قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله، فمرنا بما شئت. إلى أن قال: والله، لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك، ولعل الله يريك ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، فسُرّ النبيصلى الله عليه وآله، وأمرهم بالمسير، وأخبرهم بأن الله تعالى قد وعده إحدى الطائفتين، ولن يخلف الله وعده، ثم قال: والله، لكأني أنظر إلى مصرع أبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة الخ..[٢] وسار حتى نزل

(١) سورة المائدة: آية٢٤.

(٢) المغازي، الواقدي: ج١، ص٤٨.

بدراً. وهكذا أصحاب المواقف يُعرفون عند المحك، فمن موقف الشيخين من جهة، وموقف المقداد وسعد من جهة أخرى، يتضح زيف ما زعموا من أحاديث حول تفضيل كل أصحاب بدر على لسان الرسول الكريم صلى الله عليه وآله. ويتضح هذا الأمر أكثر عندما نلاحظ سرور النبي صلى الله عليه وآله بكلام المقداد المنسجم مع أهدافه صلى الله عليه وآله ومع المنطق السليم، حتى أننا نجد أن من الصحابة من يتمنى أن يكون هو صاحب هذا الموقف، فقد ذكروا أن ابن مسعود قال عن موقف المقداد هذا: شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به[1]، كما أننا نلاحظ أن المقداد وسعد بن معاذ لم يقدما بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله أمراً، ولم يبديا رأياً، وهذا لعمري هو الأيمان بعينه، وغاية التسليم، وقمة الوعي، تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾[2]، أما ما قاله الآخران فاستحق الإعراض من قبله صلى الله عليه وآله لأنه كان ينطوي على عدم الإيمان، كما كان يتعارض مع أهداف النبي صلى الله عليه وآله وما يرمي الوصول إليه.

## لماذا الاستشارة:

من المسلّم به أن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن بحاجة إلى رأيهم، ولكنه صلى الله عليه وآله استشارهم لأنهم سوف يتحملون أعباء الحرب، ويعانون من نتائجها، على مختلف الأصعدة، كما أنه صلى الله عليه وآله يهدف إلى كشف دخائل نفوسهم، وتمييز الشجاع من الجبان، والمؤمن من المنافق، والولي من العدو، وغيرها من الأمور. كما أن هناك أمراً آخراً وهو أنه يبدو أن الأنصار كانوا يرون: أن عليهم نصر النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) راجع تاريخ الإسلام، الذهبي: ج٢، ص٨١.

(٢) سورة الأحزاب: آية٣٦.

في دارهم، إن دهمه أمر، فيمنعونه مما يمنعون منه أنفسهم. أما إذا كان هو نفسه المهاجم لغيره، أو كانت الحرب في غير بلدهم، فلا نصرة له عليهم، وذلك هو ظاهر ما تم الاتفاق عليه في بيعة العقبة التي كانت قبل الهجرة. ويدل على ذلك: أن المؤرخين يصرحون في غزوة بدر: أنهصلى الله عليه وآله كان يخشى ألا تكون الأنصار ترى عليهم نصرته إلا ممن دهمه في المدينة، وليس عليهم أن يسير بهم.

## في بـدر:

سبق المشركون إلى بدر، فنزلوا في العدوة القصوى، في جانب الوادي مما يلي مكة، حيث الماء، وكانت العير خلف المشركين. قال تعالى: ﴿**وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ**﴾[1]. ومحل نزولهم كان صلباً، ونزل المسلمون في العدوة الدنيا، أي جانب الوادي مما يلي المدينة، حيث لا ماء، وحيث الأرض رخوة، لا تستقر عليها قدم، مما يعني أن منزل المسلمين كان من وجهة نظر عسكرية غير مناسب. ولكن الله أيد عباده ونصرهم على عدوهم، وجاء المطر ليلاً على المشركين، فأوحلت أرضهم، وعلى المسلمين، فلبدها، وجعلها صلبة، وجعلوا الماء في الحياض.

وهكذا بدأت المعركة ودارت رحاها طاحنة مدمّرة، وكان لعلي بن أبي طالبعليه السلام في هذه المعركة دور فعّال وظهرت شجاعته المتميّزة بين صفوف المسلمين حيث قتل لوحده نصف قتلى المشركين، واشترك مع المسلمين في النصف الآخر، وتدخّلت يد الغيب، وجاء الإمداد الملائكي للنبيّصلى الله عليه وآله فحقـّق الله النصر للإسلام بسيف عليعليه السلام وبمدده الغيبي. وعن أبي جعفر

(١) سورة الأنفال: آية٤٢.

الباقر عليه السلام: لما نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى كثرة المشركين، وقلة المسلمين، استقبل القبلة، وقال: (اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض)، فنزلت الآية: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ. وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[١])[٢]، واندحرت قريش تجرّ أذيال الخيبة والخسران، إذ تشتت عسكرها بين قتيل وجريح وأسير، وانهزم الباقون. إنّ يوم بدر يوم عظيم أعزّ الله فيه الإسلام والمسلمين، ورفع معنوياتهم، وأذلّ الشرك والمشركين، وهزّ عروش الظالمين، وهو اليوم الذي سمّاه القرآن بيوم الفرقان، كما في الآية الكريمة: ﴿**وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجُمْعَانِ**﴾[٣]، وكان عدد القتلى من المشركين سبعين رجلاً، وقد أُسر منهم سبعين رجلاً، وغنم المسلمون غنائم كثيرة، واستشهد من المسلمين سبعة مجاهدين.

أن النبي صلى الله عليه وآله قد اشترك في حرب بدر بنفسه، وقاتل بنفسه قتالاً شديداً[٤]، كما أنهم يروون عن علي عليه السلام أيضاً قوله: لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله صلى الله عليه وآله، فكان أشد الناس بأساً، وما كان أحد أقرب إلى المشركين منه[٥].

---

(١) سورة الأنفال: آية٩ –١٠.

(٢) راجع الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، السيد جعفر مرتضى العاملي: ج٥، ص١٩٨.

(٣) سورة الأنفال: آية٤١.

(٤) راجع المغازي، الواقدي: ج١، ص٧٧.

(٥) راجع تاريخ الطبري، الطبري: ج٢، ص١٣٥.

# غزوة بني قينقاع

لما أصاب رسول الله ﷺ أصحاب بدر وقَدِم المدينة، بغت يهود (بني قينقاع) وقطعت ما كان بينها وبين النبي ﷺ من عهد، وكانوا أول من غدر من اليهود.

ثم انهم لم يكتفوا بذلك حتى إذا جاءت امرأة من العرب كانت تحت رجل من الأنصار إلى سوق بني قينقاع وجلست عند صائغ في حليٍّ لها، جاء رجل من يهود قينقاع فجلس من ورائها وهي لا تشعر فربط ثوبها إلى ظهرها بشوكة، فلما قامت المرأة بدت عورتها فضحكوا منها، فقام رجل من المسلمين واتبع (الرجل اليهودي الذي فعل ذلك بها) فقتله! فاجتمعت بنو قينقاع على المسلم فقتلوه! وبذلك حاربوا رسول الله ﷺ ونبذوا العهد بينهم وبينه.

فاستخلف النبي ﷺ على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر، وسار إليهم فحاصرهم في حصنهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار ابتداءً من يوم السبت للنصف من شوال على رأس عشرين شهراً (من الهجرة) إلى هلال ذي القعدة وكان لواء رسول الله ﷺ مع عمه الحمزة بن عبد المطلب وهو لواء أبيض، ولقد كانوا أشجع اليهود ولكنهم لزموا حصنهم فما رموا بسهم ولا قاتلوا إذ قذف الله في قلوبهم الرعب، فقالوا: أفننزل وننطلق؟ قال رسول الله: لا، إلاّ على حكمي. فنزلوا على صلح رسول الله ﷺ وحكمه، على أن تكون أموالهم

لرسول الله وكانوا صاغة، فكانت لهم آلات صياغة وسلاح كثير، ولم تكن لهم مزارع ولا أرضون فكانت أموالهم لرسول الله ﷺ، ولهم الذرية والنساء فلما نزلوا وفتحوا حصنهم، أمر رسول الله ﷺ بأخذ اموالهم وأن يربطوا حتى يقتلوا، فكانوا يكتفون كتافاً.

ولكن النبي ﷺ قَبِل شفاعة بعض المسلمين فيهم فترك قتلهم، وأمر رسول الله ﷺ عبادة بن الصامت أن يخرجهم من المدينة بعد أن طلبوا إمهالهم ثلاثة أيام ليأخذوا ديونهم من الناس.

وقبض محمد بن مسلمة أموالهم وخَمَّسَ رسول الله ﷺ ما أصاب منهم (وهو أول خمس خَمَّسه بعد آية الخمس) وقسَّم ما بقي على أصحابه.

## غزوه أحد

في الخامس عشر من شهر شوال سنة ٣ هـ، وقعت غزوة أحد، وأحد جبل يبعد عن المدينة المنورة ميلين أو ثلاثة. ويسمّى بذلك لانفراده وانقطاعه عن جبال أُخر هناك، وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله حين وقع نظره إليه: (أُحُد جبل يحبّنا ونحبّه)[1].

**سبب هذه الغزوة:**

بعد الهزيمة القاسية التي مُني بها المشركون في معركة بدر حيث أصابهم ما أصابهم من القتل والأسر، فقد قتل منهم سبعون شخصاً وأسر سبعون آخرون، وعندما رجعت قريش من بدر إلى مكة منعهم أبو سفيان من البكاء والنوح على قتلاهم ليبقوا على حَنَقهم وغيظهم ويفكّروا في الثأر لقتلاهم، وقال تأكيداً لذلك: (الدهن والنساء عليَّ حرام حتّى أغزو محمداً)[2]، وهكذا أَلّبتْ قريش الناس على المسلمين وحرّكتهم لمقاتلتهم وسرت نداءات (الانتقام الانتقام) في كل نواحي مكة.

وفي السنة الثالثة للهجرة عزمت قريش على غزو النبي صلى الله عليه وآله، وخرجوا من مكة في ثلاثة آلاف فارس وألفي راجل، مجهزين بكل ما يحتاجه القتال

(١) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي: ج١، ص١٧٧.

(٢) راجع المغازي، الواقدي: ج١، ص١٢١.

الحاسم، وأخرجوا معهم النساء والأطفال والأصنام، ليثبتوا في ساحات القتال.

## العباس يرفع تقريرا إلى النبيﷺ:

لم يكن العباس عم النبي قد أسلم إلى تلك الساعة، بل كان باقيا على دين قريش، ولكنه كان يحب ابن أخيه غاية الحب، ولهذا فإنه عندما عرف بتعبئة قريش وعزمهم الأكيد على غزو المدينة ومقاتلة النبيﷺ، بادر إلى إخبار النبيﷺ عن طريق إرسال رسالة عاجلة يذكر فيها الموقف في مكة وعزم قريش. النبيﷺ يشاور المسلمين:

لما تأكد النبيﷺ من وجود قوات كبيرة يقودها أبو سفيان تزحف باتجاه المدينة استدعى النبيﷺ جميع أصحابه وأهل المدينة لدراسة الموقف، وما يمكن أو يجب اتخاذه للدفاع، وبحث معهم في أمر البقاء في المدينة ومحاربة الأعداء الغزاة في داخلها، أو الخروج منها ومقاتلتهم خارجها، ولقد كان هناك خلاف شديد في الرأي بين المسلمين في هذه الأمور، فاختار النبيﷺ بعد المشاورة رأي الأغلبية، والتي كانت تتألف - في الأكثر - من الشباب المتحمسين، وهو الخروج من المدينة ومقاتلة العدو خارجها، بعد الاستقرار عند جبل (أحد) باعتباره أفضل مكان من الناحية العسكرية والدفاعية.

## المسلمون يتهيؤون للدفاع:

تولّى النبيﷺ بنفسه قيادة المقاتلين وقد أمر بأن تعقد ثلاثة ألوية، دفع واحدا منها للمهاجرين، واثنين منها للأنصار، ثم إن النبيﷺ قطع المسافة بين المدينة و(أحد) مشيا على الأقدام، وكان يستعرض جيشه طوال

الطريق، ويرتب صفوفهم، وبعد أن وصل استقر عند الشِعب من (أحد) في عَدوة الوادي وجعل (أُحُداً) خلف ظهره واستقبل المدينة. وبعد أن صلى بالمسلمين الصبح صفَّ صفوفهم وتعبأ للقتال، فأمّر على الرماة (عبد الله بن جبير) والرماة خمسون رجلا جعلهمﷺ على الجبل خلف المسلمين وأوعز إليهم قائلا: إن رأيتمونا قد هزمناهم حتى أدخلناهم مكة فلا تبرحوا من هذا المكان، وإن رأيتموهم قد هزمونا حتى أدخلونا المدينة فلا تبرحوا وألزموا مراكزكم .

ومن جانب آخر، وضع أبو سفيان (خالدَ بن الوليد) في مِأتي فارس كمينا يتحينون الفرصة للتسلل من ذلك الشعب ومباغتة المسلمين من ورائهم.

## بـدء القتال:

اصطفَّ الجيشان للحرب فصاح طلحة بن أبي طلحة وهو صاحب لواء المشركين: مَنْ يُبارز؟ فبرز إليه علي بن أبي طالبعليه السلام فبدره بضربة على رأسه فقتله، ثم تقدّم بلواء المشركين أخوه والنساء خلفه يحرّضن ويضربن بالدفوف فتقدم نحوه حمزة عم النبيﷺ وضربه ضربة واحدة وصلت إلى رئته فمات، وبدأ القتال وحمل المسلمون على المشركين حملة شديدة هزمتهم شر هزيمة، وألجأتهم إلى الفرار وراح المسلمون يتعقبونهم ويلاحقون فلولهم، وفي إرشاد الشيخ المفيد: (كان أصحاب اللواء يوم أحد تسعة قتلهم عليعليه السلام عن آخرهم)[1].

---

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد: ج١، ص٨٨.

ولمّا علم (خالد) بهزيمة المشركين وأراد أن يتسلل من خلف الجبل ليهجم على المسلمين من الخلف رشقه الرماة بنبالهم، وحالوا بينه وبين نيته.

هذه الهزيمة التي لحقت بالمشركين دفعت ببعض المسلمين الجديدي العهد بالإسلام إلى التفكير في جمع الغنائم والانصراف عن الحرب، بظن أن المشركين هُزموا هزيمة كاملة، حتى أن بعض الرماة تركوا مواقعهم في الجبل متجاهلين تذكير قائدهم (عبد الله بن جبير) إياهم بما أوصاهم به النبي ﷺ ولم يبق معه إلا قليل، فتنبه (خالد بن الوليد) إلى قلة الرماة في ذلك المكان، فكرّ راجعاً بالخيل (وعددهم مائتا رجل كانوا معه في الكمين) فحملوا على (عبد الله بن جبير) ومن بقي معه من الرماة وقتلوهم بأجمعهم، ثم هجموا على المسلمين من خلفهم، وفجأة وجد المسلمون أنفسهم وقد أحاط بهم العدو بسيوفهم، وداخَلَهم الرعب، فاختل نظامهم، وأكثَرَ المشركون من قتل المسلمين، وألحقوا بهم ضربات مؤلمة، حتى إنهم كسروا رباعية النبي ﷺ، وشجوا جبينه المبارك، واستشهد - في هذه الكرة - طائفة من أصحاب النبي الشجعان، وفرّ بعضهم خوفاً، ولم يبقَ حول النبي ﷺ سوى نفر قليل جداً يدافعون عنه ويردّون عنه عادية الأعداء، وكان أكثرهم دفاعاً عن النبي ﷺ وردا لهجمات العدو، وفداء بنفسه هو (الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام) الذي كان يذبّ عن النبي ﷺ الطاهر ببسالة منقطعة النظير، حتى إنه تكسّر سيفه فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه المسمى بذي الفقار، ثم تترس النبي بمكان، وبقي علي عليه السلام يدفع عنه حتى لحقه - حسب ما ذكره المؤرخون - ما يزيد عن ستين جراحة في رأسه ووجهه ويديه وكل جسمه المبارك، وفي هذه اللحظة قال جبرائيل (إن هذه لهي المواساة يا محمد) فقال النبي ﷺ: (إنه مني وأنا منه)

فقال جبرائيل: (وأنا منكما).

قال الإمام الصادقعليه السلام: نظر رسول اللهصلى الله عليه وآله إلى جبرائيل بين السماء والأرض وهو يقول: (لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي)[1].

## شهادة الحمزةعليه السلام:

كان الحمزة بن عبد المطلب عم النبيعليه السلام يحمل على القوم، فإذا رأوه انهزموا ولم يثبت له أحد، وكانت هند قد أعطت وحشياً عهداً: بأنه إن قتل محمداً، أو علياً، أو حمزة، لأعطته رضاه.

فقال وحشي: أما محمد فلا أقدر عليه، وأما علي فرأيته رجلاً حذراً كثير الالتفات فلم أطمع فيه، وأمّا حمزة فإني أطمع فيه، لأنه إذا غضب لم يبصر بين يديه.

ويقول وحشي: والله إني لأنظر إلى حمزة يهدّ الناس بسيفه ما يلقي أحداً يمر به إلا قتله فهززت حربتي فرميته فوقعت في أربيته[2]، حتى خرجت من بين رجليه فوقع فأمهلته حتى مات وأخذت حربتي وانهزمت من المعسكر.

وروي أن هند وقعت على القتلى ولما وصلت إلى حمزة بقرتْ بطنه وأخرجت كبده، فلاكته فلم تستطع أن تسيغه فلفظته، كما قطعت أصابعه وأنفه وأذنيه وجعلتها قلادة لها، ولما رأى رسول اللهصلى الله عليه وآله ما صنع بحمزة انتحب وتأذى لذلك كثيرا.

---

(١) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٢، ص٣٧٩.

(٢) أربيته: أي أصل الفخذ.

## من الصائح (قُتل محمد)؟

في أثناء المعركة صاح صائح: قتل محمد، ويذهب بعض المؤرخين إلى أن (ابن قمئة) الذي قتل الجندي الإسلامي البطل (مصعب بن عمير) وهو يظن أنه النبي، هو الذي صاح (واللات والعزى: لقد قتل محمد). وسواء كانت هذه الشائعة من جانب المسلمين، أو العدو فإنها - ولا ريب - كانت في صالح الإسلام والمسلمين لأنها جعلت العدو يترك ساحة القتال ويتجه إلى مكة بظنه أن النبي صلى الله عليه وآله قد قتل وانتهى الأمر، ولولا ذلك لكان جيش قريش الفاتح الغالب لا يترك المسلمين حتى يأتي على آخرهم لما كانوا يحملونه من غيظ وحنق على النبي، بل ولما كانوا يتركون ساحة القتال حتى يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وآله لأنهم لم يجيئوا إلى (أحد) إلا لهذه الغاية. لم يرد ذلك الجيش الذي كان قوامه ما يقارب خمسة آلاف - وبعد تلك الانتصارات - أن يبقى ولو لحظة واحدة في ساحة القتال، ولذلك غادرها في نفس الليلة إلى مكة، وقبل أن يندلع لسان الصباح.

إلا أن شائعة مقتل النبي صلى الله عليه وآله أوجدت زلزالاً كبيراً في نفوس بعض المسلمين، ولذلك فرَّ هؤلاء من ساحة المعركة، وأما من بقي من المسلمين في الساحة فقد عمدوا - بهدف الحفاظ على البقية من التفرق وإزالة الخوف والرعب عنهم - إلى أخذ النبي صلى الله عليه وآله إلى الشعب من (أحد) ليطلع المسلمون على وجوده الشريف ويطمئنوا إلى حياته، وهكذا كان، فإنهم لما عرفوا رسول الله صلى الله عليه وآله عاد الفارون وآب المنهزمون واجتمعوا حول الرسول صلى الله عليه وآله ولامهم النبي صلى الله عليه وآله على فرارهم في تلك الساعة الخطيرة، فقالوا يا رسول الله أتانا الخبر بأنك قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين.

وهكذا لحقت بالمسلمين – في معركة أحد – خسائر كبيرة في الأموال والنفوس، فقد قتل منهم في هذه الموقعة اثنان وسبعون من المسلمين في ميدان القتال، كما جرح جماعة كبيرة، ولكنهم أخذوا من هذه الهزيمة والنكسة درسا كبيرا ضَمِن انتصاراتهم في المعارك القادمة.

## أبـرز عوامل الهزيمة في (أحد):

١ – الخطأ في المحاسبة عند بعض المسلمين الحديثي العهد بالإسلام في فهم مفاهيمه وتعاليمه، حيث إنهم تصوروا أن إظهار الإيمان وحده يكفي لتحقيق الانتصار، وإن الله – لذلك – سينزل عليهم نصره، ويمدهم بالقوى الغيبية في جميع الميادين، ولهذا تناسوا وتجاهلوا السنن الإلهية في مجال الأسباب الطبيعية للانتصار من اختيار الخطة الصحيحة، وإعداد القوى اللازمة، واليقظة القتالية.

٢– عدم الانضباط العسكري ومخالفة أوامر النبي القائدﷺ المشددة للرماة بالبقاء في الثغر من الجبل، والذبّ عن ظهور المسلمين وقد كان هذا هو العامل الحقيقي المؤثر للهزيمة.

٣– حب الدنيا والحرص على الحطام الذي دفع بعض المسلمين الحديثي العهد بالإسلام إلى الانصراف إلى جمع الغنائم، وترك ملاحقة العدو، ووضع الأسلحة حتى لا يتأخروا عن الآخرين في حيازة الغنائم، والحال أن الجهاد في سبيل الله يستدعي نسيان جميع هذه الأمور والتوجه بالكامل إلى الهدف الرئيس وهو القتال.

٤– الغرور الناشئ عن الانتصار الساحق واللامع في معركة بدر

إلى درجة أنه أنسى بعض المسلمين قوة العدو، وجعلهم يحتقرون تجهيزاته وطاقاته، ويستصغرون شأنه[1].

(١) تفسير الامثل، السيد مكارم الشيرازي: ج٢، ص٦٧٤.

# غزوة بـني النضير

هناك بعض الأحداث الهامة، والمواقف الحساسة، التي تحمل في طياتها الكثير من العبر والعظات، وتترك لها آثاراً بارزة على الفكر الإنساني، والرسالي، وعلى الفهم الدقيق للمسار العام في خط الرسالة.. هذا مضافا إلى تأثيرها في البنية العقائدية، والسلوك الإنساني في مختلف مراحله وأدواره.

ولا نبتعد عن الحقيقة إذا قلنا: إن غزوة بني النضير كانت واحدة من هذه الأحداث، فهي حدث فريد ومتميز، لا يقل في أهميته عن أي من الأحداث الكبرى في العهد النبوي الشريف، ولا أدل على ذلك من أنهم يقولون: إن سورة الحشر – بتمامها – قد نزلت في هذه المناسبة. وهذا يبرهن على الأهمية البالغة لهذه الواقعة، وعلى أنها كانت تمثل تحولاً كبيراً وإيجابياً، في مسيرة العمل والعاملين في سبيل الله سبحانه من جهة، كما أنها تعتبر –من الجهة الأخرى– ضربة قاسية وقاصمة لأعداء الله، وأعداء دينه من الكافرين.

فقد كان اليهود –الذين كان بنو النضير أقواهم شوكة، وأشدهم شكيمة، وأعزهم مكاناً– يعيشون في قلب الدولة الإسلامية، وحيث كان بإمكانهم الاطلاع على أدق دقائقها، وعلى حقائق خفاياها ونواياها، ثم الوقوف على المستوى الحقيقي والدقيق لما تملكه من قدرات وإمكانات مادية ومعنوية.

كما أنهم -أعني اليهود- كانوا يملكون أذرعا ظاهرة وخفية، ممتدة هنا وهناك، وفي عمق المجتمع الإسلامي الجديد، ثم إن لليهود الهيمنة الروحية والثقافية والعلمية على الأكثرية الساحقة.

هذا وعلينا أن لا ننسى أن اليهود كانوا يملكون قوة كبيرة في حساب الثروات والأموال.. بالإضافة إلى ما كان لليهود من ديون على الناس، قد بلغت حداً جعلهم يجدون فيها حائلاً دون تسهيل أمر رحيلهم.

وعلينا أن لا ننسى أيضا: أن هذه الضربة القاسية والقاصمة التي تلقاها اليهود عامة، وبنو النضير بصورة خاصة، إنما تمثل إضعافاً لواحد من أهم مصادر القوة والتحدي لدى أعداء الإسلام والمسلمين، ولا سيما بالنسبة إلى المشركين، وكل من يتعاطف معهم من القبائل والطوائف في المنطقة العربية، حيث خسروا واحداً من أهم حلفائهم، وذوي القوة والنفوذ فيهم.

## اليهود في المدينة:

كان في المدينة ثلاث قبائل من اليهود وهم: (بنو النضير) و(بنو قريظة) و(بنو قينقاع)، ويُذكر أنهم لم يكونوا من أهل الحجاز أصلا، وإنما قدموا إليها واستقرّوا فيها، وذلك لما قرأوه في كتبهم العقائدية من قرب ظهور نبي في أرض المدينة، حيث كانوا بانتظار هذا الظهور العظيم، وعندما هاجر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله إلى المدينة عقد معهم عهداً بعدم تعرض كل منهما للآخر، إلا أنهم كلما وجدوا فرصة مناسبة لم يألوا جهدا في نقض العهد، ومن جملة هؤلاء اليهود (بنو النضير)، فقد تصالح معهم النبي صلى الله عليه وآله لمّا دخل المدينة على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه.

## مؤامرات بـني النضير ونقضهم للعهد:

**المؤامرة الأولى:** لما غزا رسول الله ﷺ بدرا وظهر على المشركين قالوا: والله إنه للنبي الذي وجدنا نعته في التوراة لا ترد له راية، فلما غزا ﷺ غزوة أحد في السنة الثالثة للهجرة وهُزِم المسلمون ارتابوا ونقضوا العهد، فذهب (كعب بن الأشرف زعيم قبيلة بني النضير) مع أربعين فارساً من اليهود إلى مكة، وهنالك عقد مع قريش حلفاً لقتال محمد ﷺ، وجاء أبو سفيان مع أربعين شخصاً، وكعب بن الأشرف مع أربعين نفراً من اليهود، ودخلا معاً إلى المسجد الحرام وأخذ بعضهم على بعض الميثاق ووثّقوا العهد في داخل الكعبة ثم رجع كعب بن الأشراف وأصحابه إلى المدينة، فعَلِم النبيُّ ﷺ بذلك عن طريق الوحي.

**والمؤامرة الأخرى:** هي أن رسول الله ﷺ دخل يوماً مع شيوخ الصحابة وكبارهم إلى حي بني النضير، وذلك بحجة استقراض مبلغ من المال منهم كدية لقتيلين من طائفة بني عامر، قتلهما (عمرو بن أمية) أحد المسلمين، وربما كان الهدف من ذلك هو معرفة أخبار اليهود عن قُرب حتى لا يُباغَت المسلمون بذلك، وبينما كان رسول الله ﷺ يتحدث مع كعب بن الأشرف إذ حيكت مؤامرة يهودية لاغتيال رسول الله ﷺ وتنادى القوم: إنكم لا تحصلون على هذا الرجل بمثل هذه الحالة وهاهو قد جلس بالقرب من حائطكم، فليذهب أحدكم إلى السطح ويرميه بحجر عظيم ويريحنا منه، فقام (عمرو بن جحاش) وأبدى استعداده لتنفيذ الأمر، وذهب إلى السطح لتنفيذ عمله الإجرامي، إلا أن رسول الله ﷺ علم عن طريق الوحي بذلك، فقفل راجعاً إلى المدينة دون أن يتحدث بحديث مع أصحابه، إلا أن الصحابة

تصوروا أن الرسول ﷺ سيعود مرة أخرى، ولما عرفوا فيما بعد أن الرسول ﷺ في المدينة عاد الصحابة إليها أيضاً.

وهنا أصبح من المسلّم لدى رسول الله ﷺ نقض اليهود للعهد، فأعطى أمراً للاستعداد والتهيؤ لقتالهم، وجاء في بعض الروايات أيضاً أن أحد شعراء بني النضير هجا رسول الله ﷺ بشعر يتضمن مساّ بكرامة الرسول ﷺ وهذا دليل آخر لنقضهم العهد.

## مواجهة المسلمين لبني النضير وحصارهم:

وبدأت خطة المسلمين في مواجهة اليهود وكانت الخطوة الأولى أنْ أمَر رسول الله ﷺ (محمد بن سَلَمَه) أن يقتل كعب بن الأشرف زعيم اليهود، وقد كان أخاه من الرضاعة، وقد نفّذ هذا العمل وقتله.

إن قتل كعب بن الأشرف أوجد هزةً وتخلخلاً في صفوف اليهود، عند ذلك أعطى رسول الله ﷺ أمراً للمسلمين أن يتحركوا لقتال هذه الفئة الباغية الناقضة للعهد، وعندما علم اليهود بهذا لجؤوا إلى قلاعهم المحكمة وحصونهم القوية، وأحكموا الأبواب، وفي هذه الأثناء أمر الرسول ﷺ بقلع أشجار النخيل القريبة من القلاع لأسباب عدة:

**منها**: أن حب اليهود لأموالهم قد يخرجهم من قلاعهم بعد رؤية تلف ممتلكاتهم، وبالتالي يكون اشتباك المسلمين معهم مباشرة، كما يوجد احتمال آخر، وهو أن هذه الأشجار كانت تضايق المسلمين في مناوراتهم مع اليهود قرب قلاعهم وكان لابد من أن تقلع.

وعلى كل حال، فقد ارتفع صوت اليهود عندما شعروا بالضيق، وهم

محاصرون في حصونهم.. فقالوا: يا محمد، لقد كنت تنهى عن هذا، فما الذي حدا بك لتأمر قومك بقطع نخيلنا؟

فنزل قوله تعالى: ﴿**إِمَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ**﴾[١]، وبيَّن بأن هذا العمل لم يكن عن هوى نفس بل هو أَمر من الله(عزّوجلّ) صدر في هذا المجال، وفي دائرة محدودة لكي لا تكون الخسائر فادحة، وهذا العمل كان استثناء من الأحكام الإسلامية الأوّلية التي تنهي عن قطع الأشجار وقتل الحيوانات وتدمير وحرق المزارع... وعادة ما توجد استثناءات جزئية في كل قانون، كما في جواز أكل لحم الميت عند الضرورة القصوى والإجبار[٢].

## دور أمير المؤمنينعليه السلام في غزوة بني النضير:

ينقل الشيخ المفيد أنه: (لما توجه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بني النضير، عمل على حصارهم، فضرب قبته في أقصى بني حطمة[٣] من البطحاء، فلما أقبل الليل رماه رجل من بني النضير بسهم فأصاب القبة، فأمر النبي صلى الله عليه وآله أن تحول قبته إلى السفح، وأحاط به المهاجرون والأنصار، فلما اختلط الظلام فقدوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، فقال الناس: يا رسول الله، لا نرى عليا؟ فقالصلى الله عليه وآله: أراه في بعض ما يصلح شأنكم، فلم يلبث أن جاء برأس اليهودي الذي رمى النبي صلى الله عليه وآله، وكان يقال له عزورا، فطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وآله، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: كيف صنعت؟، فقالعليه السلام: إني رأيت هذا الخبيث جريئاً شجاعاً، فكَمِنتُ له

(١) سورة الحشر: آية٥.

(٢) تفسير الأمثل، السيد مكارم الشيرازي: ج١٨، ص١٦٣-١٧٤.

(٣) حطمة من الأنصار بنو عبد الله بن مالك بن أوس.

وقلت ما أجرأه أن يخرج إذا اختلط الظلام، يطلب منا غرة، فأقبل مُصلتا سيفه في تسعة نفر من أصحابه اليهود، فشددت عليه فقتلته، وأفلت أصحابه، ولم يبرحوا قريباً، فابعث معي نفرا فإني أرجو أن أظفر بهم. فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله معه عشرة فيهم أبو دجانة سماك بن خرشة، وسهل بن حنيف، فأدركوهم قبل أن يلِجوا الحصن، فقتلوهم وجاءوا برؤوسهم إلى النبي صلى الله عليه وآله فأمر أن تطرح في بعض آبار بني حطمة. وكان ذلك سبب فتح حصون بني النضير)[1].

وفيما كان من أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الغزوة، وقتله اليهودي، ومجيئه إلى النبي صلى الله عليه وآله برؤوس التسعة النفر، يقول الشاعر:

**لله أي كريمة أبليتها ببني النضير والنفوس تطلع**
**أردى رئيسهم وآب بتسعة طورا يشلهم (أي يطردهم) وطورا يدفع**

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في أمير المؤمنين عليه السلام في يوم بني النضير: (عليٌّ إمام البررة، وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله)[2].

### انتهاء المحاصرة:

استمرت المحاصرة لعدة أيام، ومنعاً لسفك الدماء اقترح رسول الله صلى الله عليه وآله عليهم أن يتركوا ديارهم وأراضيهم ويرحلوا من المدينة، فوافقوا على هذا وحملوا مقداراً من أموالهم تاركين القسم الآخر، واستقرّ قسم منهم في (أذرعات الشام)، وقليل منهم في (خيبر)، وجماعة ثالثة في (الحيرة)، وتركوا

---

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد: ج١، ص٩٢.

(٢) كنز العمال، المتقي الهندي: ج٦، ص١٥٣.

بقية أموالهم وأراضيهم وبساتينهم وبيوتهم بيد المسلمين بعد أن قاموا بتخريب ما يمكن لدى خروجهم منها.

وقد حدثت هذه الحادثة بعد غزوة (أحد) بستة أشهر، إلا أن آخرين قالوا: إنها وقعت بعد غزوة بدر بستة أشهر.

## غزوة بني النضير في سورة الحشر:

كان ابن عباس يُسمّي سورة الحشر سورة بني النضير، وقال القمي في تفسيره: وأنزل الله فيهم: ﴿**سَبَّحَ لله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ الله فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ * وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ**﴾.

(حشر) في الأصل تحريك جماعة وإخراجها من مقرها إلى ميدان حرب وما إلى ذلك، والمقصود منه هنا اجتماع وحركة المسلمين من المدينة إلى قلاع اليهود، أو اجتماع اليهود لمحاربة المسلمين، ولأن هذا أول اجتماع من نوعه فقد سُمِّي في القرآن الكريم بأول الحشر[1].

ويصفهم القران الكريم: ﴿**مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ**

---

(١) تفسير القمي، علي بن ابراهيم القمي: ج٢، ص٣٥٨.

**حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ﴾** لقد كانوا مغرورين وواثقين بأنفسهم إلى حد أنهم اعتمدوا على حصونهم المنيعة، وقدرتهم المادية الظاهرية.

إن التعبير الذي ورد في الآية يوضح لنا أن يهود بني النضير كانوا يتمتعون بإمكانات واسعة وتجهيزات وعدد كثيرة في المدينة، بحيث إنهم لم يصدّقوا أنهم سيُغلبَون بهذه السهولة، وذلك ظنّ الآخرين أيضاً، ولأن الله سبحانه يريد أن يوضّح للجميع أن لا قوة في الوجود تقاوم إرادته، فإن إخراج اليهود من أراضيهم وديارهم بدون حرب، هو دليل على قدرته سبحانه، وتحدٍّ لليهود الذين ظنوا أن حصونهم مانعتهم من الله، ولذلك يضيف تعالى ويقول: **﴿فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾** نعم، إن هذا الجيش غير المرئي هو جيش الخوف الذي يرسله الله تعالى في كثير من الحروب لمساعدة المؤمنين.

فقد تملّكهم وهيمن على قلوبهم، وسلب منهم قدرة الحركة والمقاومة، لقد جهّزوا وهيئوا أنفسهم لقتال المهاجرين والأنصار غافلين عن إرادة الله تعالى، حيث يرسل لهم جيشاً من داخلهم ويجعلهم في مأزقٍ حَرِجٍ إلى حد ينهمكون فيه بتخريب بيوتهم بأيديهم وأيدي أعدائهم من المسلمين.

والطريف هنا أن المسلمين كانوا يخربون الحصون من الخارج ليدخلوا إلى عمق قلاعهم، واليهود كانوا يخربونها من الداخل حتى لا يقع شيء مفيد منها بأيدي المسلمين، ونتيجة لهذا فقد عم الخراب التام جميع قلاعهم وحصونهم.

وفي نهاية الآية يقول تعالى: **﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾**، أي خذوا الدروس والعظات من هذه الحوادث وتعاملوا معها بعين واقعية وتوغلوا

إلى أعماقها. فإنّ ﴿أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ هم أشخاص لهم القابلية على الاستفادة من (العبر) والاتعاظ بها، يقول الإمام علي عليه السلام: (السعيد من وعظ بغيره)[١].

## سوء العاقبة:

مصير بني النضير مع تلك القدرة والعظمة والشوكة، وبتلك الصورة من الاستحكامات القوية، صار موضع عِبرة حيث إنهم استسلموا لجماعة من المسلمين لا تقارن قواتها بقواتهم، وبدون مواجهة مسلحة، بحيث كانوا يخربون بيوتهم بأيديهم وتركوا بقية أموالهم للمسلمين، وتفرقوا في بقاع عديدة من العالم، في حين أن اليهود سكنوا في المدينة من أجل أن يدركوا النبي الموعود الذي ورد في كتبهم، ويكونوا في الصف الأول من أعوانه كما ذكر المؤرخون ذلك. وبهذا الصدد نقرأ حديثاً ورد عن الإمام الصادق حيث يقول: (كان أكثر عبادة أبي ذر (رحمة الله عليه) خصلتين: التفكر والاعتبار)[٢].

وتضيف الآية اللاحقة: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾، فإن الجلاء عن الوطن وترك قسم كبير من رؤوس الأموال التي جهدوا جهداً بليغاً في الحصول عليها بأيدي أعدائهم، هو بحد ذاته أمر مؤلم لهم، إلا أنه لو لم يحل بهم هذا العذاب، لكان بانتظارهم عذاب آخر هو القتل أو الأسر بيد المسلمين... إلا أن الله سبحانه أراد لهم التيه في الأرض، والتشرد في العالم، لأن هذا أشدُّ ألماً وأسىً على نفوسهم، إذ كلما تذكروا أرضهم وديارهم ومزارعهم وبساتينهم التي أصبحت بيد المسلمين، وكيف أنهم شُرّدوا منها بسبب نقضهم العهد ومؤامراتهم ضد رسول الله صلى الله عليه وآله، فإن

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج٨، ص٧٤.

(٢) الخصال، الشيخ الصدوق: ص٤٢.

ألمهم وحزنهم ومتاعبهم تتضاعف وخاصة على المستوى النفسي، نعم، إن الله أراد لهذه الطائفة المغرورة والخائنة، أن تبتلى بمثل هذا المصير البائس، وكان هذا عذاباً دنيوياً لهم، إلا أن لهم جولة أخرى مع عذاب أشدَّ وأخزى، ذلك هو عذاب الآخرة، حيث يقول سبحانه في نهاية الآية ﴿**وَلَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ**﴾، هذه عاقبتهم في الدنيا والآخرة، وهي درس بليغ لكل من أعرض عن الحق والعدل وركب هواه، وغرته الدنيا، وأعماه حب ذاته.

وبما أن ذكر هذه الحادثة مضافاً إلى تجسيد قدرة الله وصدق الدعوة المحمدية، فهي في نفس الوقت تمثل إنذاراً وتنبيهاً لكل من يروم القيام بأعمال مماثلة لفعل بني النضير، لذا ففي الآية اللاحقة يرشدنا سبحانه إلى هذا المعنى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا الله وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ الله فَإِنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾.

ومما ينبغي ذكره في هذه الحادثة أن الله عز وجل جعل أموال بني النضير لرسول الله صلى الله عليه وآله خاصة يفعل بها ما يشاء ولكن النبي صلى الله عليه وآله قال للأنصار: إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم، وتشاركونهم في هذه الغنيمة، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم، ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة؟

فقال الأنصار: بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا، ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها، فنزل قوله تعالى: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ الله وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ**

**بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾**[١].

فقسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين، ولم يعط الأنصار منها شيئا، إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم: أبو دجانة، وسهل بن حنيف، والحارث بن الصمة[٢].

---

(١) سورة الحشر: آية٨ – ٩.

(٢) مجمع البيان، الشيخ الطوسي: ج٩، ص٣٩١.

## غزوة بني المطلق

إن من الأمور الواضحة أن الدين الإسلامي لم ينتشر في الجزيرة العربية وما حولها فيما بعد، إلا بما قام به النبي ﷺ وخُلّص أصحابه من الجهاد والصبر والتضحية وبذل الأموال والأنفس في سبيل الله، لذا عندما نقرأ حياة الرسول الكريم ﷺ تجدها مليئة بالمتاعب والأذى والأحداث حتى روي عنه ﷺ: (ما أُوذي نبي مثلما أُوذيت)[1]، وذلك منذ نزول الوحي إليه ﷺ والى حين التحاقه بالرفيق الأعلى، فلقد خاض الكثير من الحروب، ومختلف المصادمات مع الكفار والمشركين من العرب واليهود وغيرهم، وتتفاوت الغزوات من حيث الأهمية، فمنها ما تكمن أهميتها من الناحية العسكرية، ومنها من حيث الكشف عن بواطن بعض أفراد الجيش، وغير ذلك، وغزوة بني المصطلق من الغزوات التي لها أهمية كبيرة، وذلك لوقوع كثير من الأحداث فيها كادت تعصف وتزعزع وحدة وانسجام المسلمين، وما ذاك إلا لكثرة ما خرج من المنافقين في صفوف جيش النبي ﷺ، إما طمعا بالغنائم، أو غير ذلك، لهذه الأسباب وغيرها نحاول الحديث عن هذه الغزوة، من عدة جوانب.

### تسمية الغزوة:

لكون الغزوة حدثت مع قبيلة بني المصطلق وهم بطن من خزاعة، قال

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٣٩، ص٥٦.

العيني في عمدة القاري: (بني المصطلق، بضم الميم وسكون الصاد المهملة وفتح الطاء المهملة وكسر اللام وبالقاف: وهي بطن من خزاعة، والمصطلق هو ابن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر، ويقال: إن المصطلق لقب واسمه جذيمة، بفتح الجيم وكسر الذال المعجمة: ابن سعد بن عمرو، وعمرو هو أبو خزاعة، وقال ابن دريد: سمي المصطلق لحسن صوته، مفتعل من الصلق، والصلق شدة الصوت وحدته، من قوله عزوجل: ﴿**سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ**﴾[١]، ويقال: صلق بنو فلان بني فلان، إذا وقعوا بهم وقتلوهم قتلاً ذريعاً)[٢].

كما تسمى المريسيع، ذكر الشيخ الكليني في الكافي: ((مريسيع) مصغر مرسوع: بئر أو ماء لخزاعة، وإليه تضاف غزوة بنى المصطلق، وذكر المؤرخون أنها حدثت في شعبان السنة السادسة)[٣].

**أسباب الغزوة**:

هناك عدة من الأسباب أدت إلى تحرك النبي صلى الله عليه وآله واتخاذ قرار الحرب منها:

١) إن هذه القبيلة لها تحالف مع قريش ضد النبي صلى الله عليه وآله، وقد شاركت فعلا في الحروب إلى جانب قريش، وذكروا أنها كانت من أحابيش قريش، وذلك أَن بَني الُمصطلق وبني الهَوْن بن خُزيمة اجتمعوا عند حُبْشيٍّ وهو جبل بأَسفل مكة، عَلَى سِتَّةِ أَميالٍ منها فحالفوا قريشاً، وتحالفوا بالله إِنَّا لَيَدٌ على

(١) سورة الأحزاب: آية ٩١.

(٢) عمدة القاري، الغيني: ج١٣، ص١٠٢

(٣) الكافي، الشيخ الكليني: ج٥، ص٤٧.

غيرِنا ما سَجا لَيْلُ ووَضَحَ نهار وما أَرْسَى حُبْشِيٌّ مَكانَه، فسُمّوا أَحابيش قُريش[١].

٢) كون موقعها حاجزا عن وصول المسلمين إلى مكة.

٣) وصول الأخبار إلى النبيصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بأنهم يعدون العدة والعدد لغزو المدينة، واستنهاض من يشاركهم الهدف ذاته.

## تحرك النبيصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

من الصفات التي يتمتع بها النبيصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ القيادة الحكيمة، والحنكة الفائقة في معالجة المواقف إلى جانب غيرها من الصفات الأخرى، وهذا واضح من خلال معالجتهصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ للمواقف، ومنها قضية بني المصطلق، إذ كانصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قد شكل جهازاً استخبارياً منظماً لجمع المعلومات ورصد تحركات العدو، لذا بعثصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أحد أصحابه للتحقق وبيان الأمر، وهذا درس عملي يضعه لناصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ للتعامل مع الأحداث، وعدم التسرع في اتخاذ القرار، ذكر الواقدي في المغازي: (فبعثصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بريدة بن الحصيب الأسلمي يعلم علم ذلك، واستأذن النبيّصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أن يقول، فأذن له، فخرج حتّى ورد عليهم ماءهم فوجد قوماً مغرورين قد تألّبوا وجمعوا الجموع، فقالوا: من الرجل؟ قال: رجل منكم قدمت لما بلغني عن جمعكم لهذا الرجل فأسير في قومي ومن أطاعني فتكون يدنا واحدة حتّى نستأصله، قال الحارث بن أبي ضرار: فنحن على ذلك فعجّل علينا، قال بُريدة: أركب الآن فآتيكم بجمع كثيف من قومي ومن أطاعني فسرّوا بذلك

---

(١) راجع لسان العرب، ابن منظور: ج٦، ص٢٧٨.

منه ورجع إلى رسول اللهّ فأخبره خبر القوم...)[١].

فندب ﷺ القوم للخروج، فأسرع الناس للالتحاق بالنبي ﷺ وفيهم ثلاثون فارسا، عشرة من المهاجرين، وفي هذه الغزوة خرج معه ﷺ بشر كثير من المنافقين لم يخرجوا في غيرها قط، (وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ)، وما كان خروجهم رغبة منهم في جهاد أو إحدى الحسنيين، بل طمعا في الحصول على حطام الدنيا، وقرب المسافة، ولوثوقهم بانتصار النبي ﷺ، وذلك لعلمهم بأنه مؤيد من السماء، ومنصور بالرعب الذي يقذفه الله في صفوف المشركين، تقول أم المؤمنين جويرية- وذلك بعد زواجها بالرسول الأعظم ﷺ-: (أتانا رسول الله ﷺ ونحن على المريسيع، فأسمع أبي وهو يقول: أتانا ما لا قبل لنا به، قالت: وكنت أرى من الناس والخيل والسلاح ما لا أصف من الكثرة، فلما أن أسلمت وتزوجني رسول الله ﷺ) ورجعنا جعلت أنظر إلى المسلمين فليسوا كما كنت أرى، فعرفت أنه رعب من الله عز وجل يلقيه في قلوب المشركين[٢].

### مسيره ﷺ:

في أرض يقال لها بلقاء وجدوا عينا للمشركين، فعرضوا عليه الإسلام فأبى وفضّل الضلال على الهدى، قال اليوسفي الغروي في موسوعته: (فضرب عنقه، فذهب خبره إلى بني المصطلق فساء بذلك زعيمهم الحارث بن أبي ضرار ومن معه وخافوا خوفا شديدا، وتفرق عنه من كان قد اجتمع

---

(١) المغازي، الواقدي: ج١، ص٤٠٥

(٢) راجع إعلام الورى بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسي: ج١، ص١٩٦.

إليه من أفناء العرب حتى ما بقي منهم أحد سوى بني المصطلق)[1].

في المريسيع: لقيهم النبي صلى الله عليه وآله على ماء من مياههم يقال له:

## في المريسيع:

من ناحية قديد إلى الساحل، وقد اجتمعوا وتهيئوا للقتال، فصف رسول الله أصحابه، ثم أمر صلى الله عليه وآله أصحابه أن يحملوا عليهم حملة رجل واحد، واقتتلوا قتالا فهزم الله بني المصطلق ونَفَلْ النّبيّ صلى الله عليه وآله أبناءهم ونساءهم وأموالهم، قال اليوسفي[2]: فقتل أمير المؤمنين عليه السلام رجلين من القوم هما مالك وابنه... وكان هو عليه السلام الذي سبى جويرية بنت الحارث أمير القوم، فجاء بها إلى النبي صلى الله عليه وآله، فاصطفاها النبي صلى الله عليه وآله، وأصاب رسول الله منهم سبيا كثيرا فقسمه في المسلمين.

## جويرية أم المؤمنين:

يتمتع النبي صلى الله عليه وآله بسياسة حكيمة ورحمة كبيرة، فلا يرى فرصة للرحمة والمساعدة إلا واقتنصها، امرأة كريمة ابنة سيد قومها، وقعت في السبي، فيعتقها النبي صلى الله عليه وآله، ثم تأتي الخطوة الإيجابية الأخرى والتي كان لها الأثر الكبير في تغيير الأحداث، وهي جعل النبي صلى الله عليه وآله هذه المرأة من جملة زوجاته بعد إسلامها، فهو حفظ لماء الوجه، ونزع الآثار التي خلفتها المعارك، قال العاملي في الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام: (وفي المريسيع سبا علي عليه السلام جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية، ثم المصطلقية وهي التي تزوجها رسول

---

(١) موسوعة تاريخ الإسلامي، اليوسفي الغروي: ج٢، ص٥٧٩

(٢) المصدر السابق: ج٢، ص٥٨٠

الله صلى الله عليه وآله)[١].

نعم أسلمت وأسلم أهلها، ذكر اليوسفي: (وبعد إسلام بقية القوم جاء الحارث أبو جويرية إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إن ابنتي لا تسبى، إنها امرأة كريمة، قال: اذهب فخيرها، قال: قد أحسنت وأجملت، وجاء إليها أبوها، فقالت له: اخترت الله ورسوله!)[٢].

وقال الشيخ الطبرسي: (فلما بلغ الناس أن رسول الله صلى الله عليه وآله تزوج جويرية بنت الحارث قالوا: أصهار رسول الله، فأرسلوا ما كان في أيديهم منهم، وأطلق جميع أسرى بني المصطلق رجالاً ونساء بفضل هذا الزواج المبارك، وبفضل سياسة النبي صلى الله عليه وآله الحكيمة، فما علم امرأة أعظم بركة على قومها منها)[٣].

### الله تعالى ينتصر لنبيه صلى الله عليه وآله:

هناك من المسلمين من نطقوا الشهادتين ودخلوا الإسلام ولكنه لم يتأصل في نفوسهم، بل بقيت آثار الجاهلية في ممارساتهم وأفعالهم، ونجد هذا واضحاً في هذه الغزوة، فقد ذكر أرباب التاريخ والسير الذين تعرضوا لهذه الغزوة، أنه حصل تشاجر بين أحد المهاجرين والأنصار في قضية سقي الماء، ونادى كل منهم بقومه، وكادت الحرب أن تقع بينهم، وقد استغل هذه الحادثة المنافقون وعلى رأسهم عبد الله بن أبي سلول، فأخذ يوجه كلاماً للأنصار بأنهم قد غُلبوا على أمرهم في ديارهم، وأصبحوا غير ذي منعة،

(١) الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام، السيد جعفر مرتضى العاملي: ج٤، ص١٧٢.

(٢) موسوعة تاريخ الإسلامي، اليوسفي الغروي: ج٢، ص٥٨١.

(٣) إعلام الورى بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسي: ج١، ص١٩٧.

بسبب إيوائهم للمهاجرين، وكان هناك من يسمع كلامه ويروج له، فكاد هذا الحدث أن يشرخ وحدة المسلمين آنذاك، وبالتالي يقضي على الإسلام، لولا تدخل النبي صلى الله عليه وآله وحسم الموقف. لكن نقول بألم وحرقة: إن هذه الوحدة التي أسسها النبي صلى الله عليه وآله، وسقاها أصحابه المنتجبون المؤمنون بدمائهم الزاكية، لم يحافظ عليها المسلمون، فسرعان ما تزاحموا على شق الصف الإسلامي وأزاحوا أهله عن مراتبهم، فما أحوجنا اليوم لموقف يرجع الحق إلى أهله، ويمحق النفاق وأهله، نعم أطلق بن أبي سلول كلامه فنزل قوله تعالى: **﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾**(١)، وحين عرف ابن أبي سلول أن كلامه بلغ النبي صلى الله عليه وآله أتى النبي صلى الله عليه وآله فحلف بالله أنه لم يقل ذلك، فأنزل الله تعالى: **﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾**(٢)، وهنا جاء وجه آخر للمنافقين، يطلب من النبي صلى الله عليه وآله قتل ابن سلول، إلا أن النبي صلى الله عليه وآله لم يلتفت إلى قوله، مما حدى بالنبي صلى الله عليه وآله إلى الرحيل في ساعة لم يكن يرتحل في مثلها والعودة إلى المدينة.

## توجيه القرآن الكريم للمجتمع الإسلامي بعد الغزوة:

نزلت سورة (المنافقون) بعدما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من غزوة بني المصطلق، في طريقهم إلى المدينة، فقد تحدثت السورة بإسهاب عن المنافقين، وأشارت إلى بعض الحوادث والأقوال التي وقعت منهم ورويت عنهم وفضحت أكاذيبهم، إلا أنها في الختام حذرت المؤمنين من الانشغال بزينة

(١) سورة المنافقون: آية ٨.

(٢) سورة المنافقون: آية١.

الدنيا ومتاعها، وحثت على الإنفاق، ويمكن لدارس هذه السورة أن يلاحظ عدة محاور مهمة منها:

١- تحدثت السورة الكريمة في البدء عن أخلاق المنافقين، وفضحت كذبهم في أقوالهم ووصفت حالهم، فابتدأت هذه السورة بإيراد صفات المنافقين التي من أهمها الكذب في ادعاء الإيمان، وحلف الأيمان الكاذبة، وجبنهم وضعفهم وتآمرهم على النبيﷺ وعلى المؤمنين، وصدهم الناس عن دين الله، قال تعالى: ﴿**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ* اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ* ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ* وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾[1].

٢- ثم بينت الآيات عنادهم وتصميمهم على الباطل، وعصيانهم لمن يدعوهم إلى الحق وبينت مقالاتهم الشنيعة بالتفصيل خاصة ما قالوه في غزوة بني المصطلق من أنهم سيطردون الرسول والمؤمنين من المدينة، وأن العزة لهم، إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة الفظيعة.

قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ* سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ* هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لاَ تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَللهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**

(١) سورة المنافقون: آية١-٤.

**وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَفْقَهُونَ* يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَللهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾**(١).

وهكذا كان المجتمع المدني يتربى بالأحداث، والقرآن الكريم يقوم بتوجيهه وتعليمه، ورسول الله صلى الله عليه وآله يقوم بالإشراف على ذلك، فينبغي لنا أن نأخذ الدروس والعبر من هذه الأحداث التأريخية حتى لا نقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه الأخرون ولنعرف العدو من الصديق والمؤمن من المنافق قال الله تعالى: **﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾**(٢).

## النبي صلى الله عليه وآله رائد الانسانية:

الله تعالى خلق الإنسان وأراد له الرفعة والسمو والكرامة، قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾**(٣)، ونلاحظ أنه لا يوجد شريعة أو قانون ودستور وضعي، يولي الإنسان أهمية كما أولاه الدين الإسلامي، ونجد هذا الشيء واضحاً من خلال أفعال وأقوال المعصوم عليه السلام، كما أنه لايقتصر الاحترام والتقدير على المسلمين فقط دون سواهم، بل حتى غير المسلم، كما أن الإسلام يرفض استغلال المسؤول نفوذه في تحقيق مآربه، وما أحوجنا اليوم إلى هذا الفكر وهذا التعامل، فلابد أن توجد عند الإنسان مبادئ وثوابت يتعامل بها مع المجتمع، فالمجتمع الذي يتعامل على أساس الالتزام بالعامل الديني والأخلاقي يرتقي ويسمو نحو الكمال، لكن نجد هناك من يتجاوز ويتطاول على القيم الإنسانية، وهذا بعينه حدث مع هذه القبيلة التي أسلمت، فقد

(١) سورة المنافقون: آية٥-٨.

(٢) سورة يوسف: آية١١١.

(٣) سورة الإسراء: آية٧٠.

كان النبي صلى الله عليه وآله يبعث بعض السرايا فيما حول مكة للدعوة وبيان الأحكام، ومنها البعثة إلى حي من بني المصطلق وكان عليها خالد بن الوليد المخزومي، وكان بين قومه وبينهم أحقاد وعداوات في الجاهلية، فلم يلتزم بأمر النبي صلى الله عليه وآله بدعوة الناس إلى القتال، فلما كانت صلاة الفجر أمر مناديه فنادى فصلى وصلوا، ثم غدر بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة، فلما انتهى الخبر الى النبي صلى الله عليه وآله استقبل القبلة، ثم قال: (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد).

ثم التفت صلى الله عليه وآله وقال لعلي عليه السلام: يا علي، ائت بني جذيمة من بني المصطلق، فأرضهم مما صنع خالد، ثم رفع صلى الله عليه وآله قدميه فقال: يا علي، اجعل قضاء أهل الجاهلية تحت قدميك، فأتاهم علي عليه السلام، فلما انتهى إليهم حكم فيهم بحكم الله، فلما رجع إلى النبي صلى الله عليه وآله، قال: يا علي، أخبرني بما صنعت. فقال: يا رسول الله، عمدت فأعطيت لكل دم دية، ولكل جنين غرة، ولكل مال مالاً، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لميلغة (الإناء الذي يلغ فيه الكلب) كلابهم وحبلة رعاتهم، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لروعة نسائهم وفزع صبيانهم، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لما يعلمون ولما لا يعلمون، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم ليرضوا عنك يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وآله: يا علي، أعطيتهم ليرضوا عني، رضي الله عنك يا علي، إنما أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي[1].

## حادثة الإفك:

من عوامل الرقي والنجاح كون المجتمع يعيش في حالة انسجام

---

(١) راجع الأمالي، الشيخ الصدوق: ص٢٣٨، وصحيح البخاري، البخاري: ج٨، ص١١٨، وغيرهما.

يسودها الحب والاحترام المتبادل والصدق والأمانة، كما ينبغي الابتعاد عن كل ما يؤدي بشكل أو آخر الى ثلم العلاقة الطيبة، وفصم عرى الألفة والانسجام، وتعتبر عملية تحصين المجتمع بصورة عامة من الأمور التي اهتم بها الدين الإسلامي، لما لها من انعكاسات ايجابية ومؤثرة في مسيرة الإنسان، كما حذر من التصرفات اللامسؤولة والانجرار وراء الشائعات والشعارات الزائفة، فعلى الإنسان أن يبصر أين يضع نفسه، ولا ينزلق في دهاليز الظلمة ودعاة الباطل، ولعل زماننا اليوم لا يخلو من هذه الأمور، خصوصاً مع ما يمتلك المغرضون من الإمكانيات المتطورة، كما أن لنا دعوة إلى الاعتبار والاستفادة من تصرفات وعواقب الآخرين، وهي دعوة قرآنية، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ**﴾[1]، فبين أيدينا حادثة وقعت في زمن النبيﷺ حيث أدى غياب العامل الإيماني، من جهة وعدم الشعور بالمسؤولية عند البعض من جهة أخرى إلى رمي امرأة مؤمنة بالباطل، فقد ذكر المفسرون أن الآيات من ١١-٢٦ من سورة النور نزلت لتعالج هذه القضية، مما يبين لنا أهمية ذلك. والأفك هو الكلام المنحرف عن الحق المجانب للصواب، أو هو قلب الحق وصرفه عن وجهه. وعلى كل حال فقد اتُهم شخص بريء بعمل مخل بالعفة والشرف، وأن الشائعات كانت منتشرة في المدينة، كما يفهم من الدلائل الموجودة في هذه الآية أن هذه التهمة كانت موجهة لشخص له أهمية خاصة في المجتمع آنذاك، وأن مجموعة من المنافقين المتظاهرين بالإسلام أرادوا الإخلال بالمجتمع الإسلامي بترويجهم هذه الشائعة، فنزلت هذه الآيات، وتصدت لهذه الحادثة بقوة، ودفعت المنحرفين والمنافقين الحاقدين إلى جحورهم، وقد ذكرت هذه الحادثة بعض

(١) سورة يوسف: آية١١١.

كتب العامة على أنها في خصوص عائشة بنت أبي بكر، إلا أن هذا لا يصمد أمام الدلائل والأحداث، وفي المقابل ذكرت كتب أتباع أهل البيت عليهم السلام وكتب العامة أنها في قضية اتهام أم المؤمنين مارية، قال القمي: (... عن زرارة، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لما مات إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله حزن عليه حزناً شديداً، فقالت عائشة: ما الذي يحزنك عليه؟! فما هو إلا ابن جريح، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام وأمره بقتله، فقال: يا رسول الله، إذا بعثتني في الأمر أكون فيه كالمسمار المحمي في الوبر، أم أثبّت ؟! قال: لا بل اثبّت. فذهب علي عليه السلام ومعه السيف، وكان جريح القبطي في حائط، فضرب علي عليه السلام باب البستان، فأقبل جريح، ليفتح له الباب، فلما رأى علياً عليه السلام، عرف في وجهه الغضب، فأدبر راجعاً، ولم يفتح الباب .فوثب علي عليه السلام على الحائط، ونزل إلى البستان، واتبعه. وولى جريح مدبراً، فلما خشي أن يرهقه صعد في نخلة، وصعد علي في أثره، فلما دنا منه رمى بنفسه من فوق النخلة، فبدت عورته، فإذا ليس له ما للرجال، ولا ما للنساء، فانصرف علي عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: والذي بعثك بالحق ما له ما للرجال، ولا ما للنساء. فقال: الحمد لله الذي يصرف عنا السوء أهل البيت عليهم السلام)[1].

## الايمان والفسق:

ذكر الزمخشري: (أن النبي صلى الله عليه وآله بعث الوليد بن عقبة -أخا عثمان لأمه، وهو الذي ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر أربعا ثم قال: هل أزيدكم ؟- مصدقا إلى بنى المصطلق، وكانت بينه وبينهم إحنة، فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم

(١) تفسير القمي، علي بن ابراهيم القمي: ج٢، ص٩٩.

مقاتليه، فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وآله: قد ارتدوا ومنعوا الزكاة، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وهم أن يغزوهم، فبلغ القوم فوردوا وقالوا: نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله. فنزل قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾[(١)])[(٢)].

ورد في تفسير الأمثل: (لقد جعل عزوجل (الفاسق) في مقابل (المؤمن) في هذه الآية، وهذا دليل على أن للفسق مفهوما واسعا يشمل الكفر والذنوب الأخرى، لأن هذه الكلمة أخذت في الأصل من جملة (فسقت الثمرة) إذا خرجت من قشرها، ثم أطلقت على الخروج على أوامر الله والعقل وعصيانها، ونعلم أن كل من كفر، أو ارتكب معصية فقد خرج على أوامر الله والعقل، ومما يجدر ذكره أن الثمرة ما دامت في قشرها فهي سالمة، وبمجرد أن تخرج من القشر تفسد، وبناء على هذا فإن فسق الفاسق كفسق الثمرة، وفساده كفسادها)[(٣)].

---

(١) سورة الحجرات: آية٦.

(٢) الكشاف، الزمخشري: ج٣، ص٥٥٩.

(٣) تفسير الأمثل، السيد مكارم الشيرازي: ج١٣، ص١٢٧.

## معركة الخندق

من السنن الإلهية اختيار الرسل والأنبياء، وإعدادهم لتحمل المسؤولية، لتوقف الدعوة إلى الله التي يحملونها على مدى إيمانهم وإخلاصهم وتضحياتهم في سبيل ما جاؤا به، ومن الواضح أن الحركات والأفكار التغييرية في المجتمع لا تعتمد في تحقيق أهدافها ومبادئها على إيمان رجالها وقادتها فقط، بل تحتاج بالإضافة إلى ذلك إلى المخلصين من الأتباع والرواد من حملة هذا الفكر الجديد، لذا ومن هذا المنطلق اهتم الرسول الأعظمﷺ بتربية رجال أكفاء، يتمتعون بمميزات خاصة من أهمها الإيمان الراسخ والاستعداد الكامل لبذل كل شيء في سبيل تحقيق أهداف الرسالة، وهذه النماذج عادة ما تكون عزيزة في المجتمعات.

ومن الصفات المهمة التي لها أثر كبير على حياة الإنسان والتي يدعو إليها الدين الإسلامي هي صفة التوكل على الله تعالى، فالإنسان لابد أن لا يرى قدرة غالبة إلا قدرة الله تعالى، وأن كل شيء في قبضته تعالى. إن هذه الصفة متجذرة وثابتة عند أولياء الله، فمثلا تجد أن ابرهة عندما أراد هدم الكعبة واجهه عبد المطلبعليه السلام بذلك الموقف الصلب الذي ملؤه الإيمان والثقة والتوكل على الله تعالى، وتتمثل هذه الصفة في أعلى مراتبها عند النبيﷺ وأهل البيتعليهم السلام، فهذه حياتهمعليهم السلام تجدها مليئة بالمصاعب والأزمات التي

تهد الجبال، ومع ذلك وبسبب اعتمادهم على الله لم تنثن عزيمتهم ولم يضعف جهادهم في سبيل الله، لذا عندما تكالب المشركون على حرب النبي صلى الله عليه وآله واجمعوا أمرهم على استئصال الإسلام المتمثل بالنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، والثلة المؤمنة من اصحابه، ومع كل هذا نجده صلى الله عليه وآله يقف كالجبل الصلد لم تهزه العواصف ولم يكترث لما جرى، نجده يتوجه إلى الله تعالى بنية خالصة وقلب ملؤه الثقة بالله تعالى، فكان كما قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيماناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾[1]، وهذا هو عين ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: (إن قريشاً والعرب تجمعت، وعقدت بينها عقداً وميثاقاً لا ترجع من وجهها حتى تقتل رسول الله صلى الله عليه وآله، وتقتلنا معه معاشر بني عبد المطلب)[2].

## النبي صلى الله عليه وآله في المدية المنورة:

هاجر النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة المنورة التي كانت تسمى يثرب- يثرب قبل أن يهاجر إليها النبي صلى الله عليه وآله.

بدأ صلى الله عليه وآله يؤسس الحكومة الإسلامية ويشيّد أركانها وسط تهديدات وأخطار كبيرة، من خارج المدينة المنورة، متمثلا بالمشركين من قريش وغيرها، وخطر داخل المدينة وحولها متمثل بالمنافقين واليهود، ولعل أشد ما مرّ على الإسلام حادثةٌ في السنة الخامسة من الهجرة ألا وهي معركة الأحزاب حتى إنه نزلت آيات كثيرة تتحدث حولها وسميت سورة في القرآن باسمها، نعم تلك المعركة التي كانت تحولا وانعطافا في تاريخ الإسلام وحياة المسلمين،

(١) سورة آل عمران: آية١٧٣.

(٢) الخصال، الشيخ الصدوق: ص٣٦٨، وبحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٢٠، ص٢٤٤.

معركة قلبت موازين القوى في المنطقة، وكانت مفتاحاً وبداية لانتصارات عظيمة حققها النبيﷺ وأتباعه المخلصون، فقد كان بعض اليهود، وهم ثلاث قبائل: بنو النضير، بنو قينقاع، وبنو قريظة، يسكنون في المدينة المنورة، وقد عقد النبيﷺ معهم عهوداً تم بموجبها الاتفاق على عدم محاربة اليهود للإسلام وأهله، إلا أن اليهود لم يلتزموا ونقضوا العهد كما هو حالهم وسيرتهم إلى يوم الناس هذا، مما حدى بالنبيﷺ أن يحاربهم ويخرجهم، فالتحق بعضهم بيهود خيبر، إلّا بني قريظة فإنهم التزموا بالاتفاق آنذاك، وأخذ اليهود يؤلبون الناس على الإسلام وأهله.

ولعل أول شرارة لمعركة الأحزاب كانت من يهود بني النضير الذين جاءوا إلى مكة وعقدوا اتفاقاً مع مشركي قريش لحرب النبيﷺ. ثم جاءوا إلى قبيلة غطفان أيضا، وانضم إليهم حلفاؤهم من القبائل الأخرى كقبيلة أسد وبني سليم واتفقوا على القضاء على الإسلام ونبيهﷺ حسب زعمهم.

بلغت النبيﷺ تلك الأخبار فأخذ بالاستعداد لمواجهة الكفر كله، وبما أن عدد المسلمين قليل مقابل العدو الغازي، جمع النبيﷺ الأنصار والمهاجرين واخبرهم بالأمر، فكانت هناك عدة آراء حول مواجهتهم، فما كان منهﷺ إلا الإشارة إلى الأخذ برأي سلمان المحمدي بحفر الخندق حول المدينة بحيث لا يستطيع العدو العبور، وبالتالي الوصول إلى المدينة، ولهذا كان أحد أسماء هذه المعركة هو معركة الخندق. لقد مرت على المسلمين لحظات صعبة وخطيرة في نفس الوقت، ولعل أروع ما يصور لنا حال المسلمين آنذاك القران الكريم حيث عبر عن ذلك بأبلغ وصف فقال تعالى فيه:

﴿**بَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ**﴾[١]، فهو كناية عن الاضطراب والقلق والخوف الشديد الذي تملك المسلمين آنذاك، ومنها أيضا ﴿**زَاغَتْ الأَبْصَارُ**﴾[٢]، وهذا إشارة إلى حالة الإنسان عند خوفه واضطرابه فإنه تميل عيناه إلى جهة، وتثبت على نقطة معينة ويبقى متحيراً.

وهذا بطبيعة الحال يدل على أن هناك من المسلمين من لم يصل إلى مرحلة الإيمان التام ولم يصمد أمام الامتحان الإلهي، وهذا هو الابتلاء كما عبرت عنه الآية: ﴿**هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدا**﴾[٣].

ومن الواضح أن الإنسان عندما يداهمه خطر ويحيط به فإن شعوره بالخوف والاضطراب تبدو آثاره على أعضاء جسمه، فتراه لا يستطيع الاستقرار في مجلس واحد، ويتحرّك بحركات معينة أو أنه يجمد في مكانه لا يتحرك أبداً.

وهذا هو ما أصاب الجيش الإسلامي في غزوة الخندق، ونجد هذه الحالة واضحة من خلال موقفهم أمام خمسة من أبطال العرب على رأسهم عمرو بن عبد ود الذين عبروا الخندق، وطلبوا المبارزة سيما عمرو بن عبد ود الذي كان يكرر نداءه وأخذ يستهزئ بالمسلمين وبالجنة والنار، فكان السكوت مطبقاً على معسكر المسلمين سوى صوت فتى الإسلام وبطله على الإطلاق الوصي أمير المؤمنين عليه السلام، فلم يجرؤ أحد سوى علي بن أبي طالب عليه السلام على التقدم إليه، فهب عليه السلام لنصرة الدين وإجابة نداء الرسول صلى الله عليه وآله، فقتل

(١) سورة الأحزاب: آية١٠.

(٢) سورة الأحزاب: آية١٠.

(٣) سورة الأحزاب: آية١١.

عمرا وعجل بروحه إلى جهنم، وحقق النصر للإسلام والمسلمين: ﴿**وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً**﴾[١]، وهنا تجدر الإشارة إلى أنه كان من الصحابة يصرح باسم علي بن أبي طالب عند قراءة هذه الآية، فقد ورد عن عبد الله بن مسعود، أنه كان يقرأ: ﴿**وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ**﴾بعلي ﴿**وَكَانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً**﴾[٢].

وقال ابن عباس: في قوله تعالى: ﴿**وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ**﴾، قال: بعلي بن أبي طالب[٣].

فكلمة: بعلي ليست من القرآن، وإنما هي زيادة تفسيرية للآية، للتأكيد على نزولها في أمير المؤمنين عليه السلام، فهذا هو مكان معرفة الرجال في ساحات الوغى وعند المصاعب والشدائد، لا في الأمن والاستقرار كما هو عليه بعض الناس ممن وضعت لهم السلطة صفات ومزايا لم تكن لديهم، نجدهم لا ينطقوا إلا عند الأمن، ولا يصمدون عند المواجة كما تشهد لذلك عدة من حروب النبي صلى الله عليه وآله ومنها معركة أحد وحنين، نعم كان أمير المؤمنين عليه السلام هو صانع النصر للإسلام والجندي المدافع عن الدين والنبي صلى الله عليه وآله، فما من خطر داهم الإسلام إلا وكان عليه السلام هو المدافع المضحي دون غيره، وقد رسمت لنا صورة عن ذلك سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها العظيمة بقولها: (تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بأبي محمّد، بعد اللتيا واللتي، وبعد أن مُني ببهم الرجال وذؤبان العرب ومردة

---

(١) سورة الأحزاب: آية٢٥.

(٢) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٨، ص١٣٣.

(٣) الغدير، الشيخ الأميني: ج٧، ص٢١٢.

أهل الكتاب، كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن للشيطان، أو فغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتّى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيّداً في أولياء الله، مشمّراً، ناصحاً، مجدّاً، كادحاً، لا تأخذه في الله لومة لائم، وأنتم في رفاهية من العيش، وادعون فاكهون آمنون، تتربّصون بنا الدوائر، وتتوكّفون الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرّون من القتال)[١].

فنجد أمير المؤمنين عليه السلام حاملا لراية النبي صلى الله عليه وآله في كل معركة خاضها صلى الله عليه وآله ضد الكفر والطغيان، (يَحْذُو حَذْوَ الرَّسُولِ صَلّى الله عَلَيْهِما وَآلِهِما وَيُقاتِلُ عَلى التَأوِيلِ وَلا تَأخُذُهُ فِي الله لَوْمَةُ لائِم ؛ قَدْ وَتَرَ فِيهِ صَناديدَ العَرَبِ وَقَتَلَ أَبْطالَهُمْ وَناوَشَ ذُؤْبانَهُمْ فَأَوْدَعَ قُلُوبَهُمْ أَحْقاداً بَدْرِيَّةً وَخَيْبَرِيَّةً وَحُنَيْنِيَّةً وَغَيْرَهُنَّ، فَأَضَبَّتْ عَلى عَداوَتِهِ وَأَكَبَّتْ عَلى مُنابَذَتِهِ)[٢].

وكذا حمل راية الإسلام والدفاع عن الحق حتى بعد استشهاد النبي صلى الله عليه وآله حيث قَتَلَ النَّاكِثِينَ وَالقاسِطِينَ وَالمارِقِينَ، نعم، (وكانَ بَعْدَهُ هُدىً مِنَ الضَّلالِ وَنُوراً مِنَ العَمى وَحَبْلَ الله المَتِينَ وَصِراطَهُ المُسْتَقِيمَ لا يُسْبَقُ بِقَرابَةٍ فِي رَحِمٍ وَلا بِسابِقَةٍ فِي دِينٍ وَلا يُلْحَقُ فِي مَنْقَبَةٍ مِنْ مَناقِبِهِ)[٣]، وهكذا أولاده عليهم السلام، وأيضا سار على هذا النهج أتباعه، فنجدهم حملة راية الدين وحماته في كل زمان ومكان، وبالمقابل نجد أن الأعداء وعلى رأسهم

---

(١) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي: ج١، ص١٣٦.

(٢) زاد المعاد، العلامة المجلسي: ج١، ص٣٠٥.

(٣) المصدر السابق.

اليهود كما كانوا يتآمرون على النبي صلى الله عليه وآله والإسلام، كذالك هم اليوم على تلك الحالة من المؤامرة والحقد والعدوان، لذا نجد أتباع أهل البيت عليهم السلام يواجهون المصائب والأزمات بعزم لا يلين، وبصبر مستمد من عقيدة راسخة، وبثبات قدم، واستعداد للبذل والعطاء في سبيل إعلاء كلمة الحق وأهله، فعند الابتلاء بالفتن تكشف الحقائق وتظهر بواطن النفوس وتتجلى المواقف، فيبرز صاحب الإيمان والتقوى دون غيره ممن يخادع: ﴿**يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾(١).

كان النبي صلى الله عليه وآله يواجه عدة من الأخطار والتهديدات من قبل عدة أطراف، فهو في مواجهة مع مشركي قريش أو غيرها، ومع المنافقين الذين اظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر المتغلغلين في صفوف المسلمين، ومع الأعراب الذين هم حول المدينة، ومع اليهود الساكنين في المدينة وحولها. فكان الوضع في المدينة المنورة ليس بحال جيدة، وبهذه الظروف داهم المدينة خطر كبير تمثل بإجماع الكفار على مختلف مستوياتهم على استئصال النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته. لذا تعتبر غزوة الأحزاب حادثة مهمة في حياة الإسلام والمسلمين كما وتعتبر تحولا كبيرا كما قال النبي صلى الله عليه وآله: (الآن نغزوهم ولا يغزونا)(٢)، فكان كما قال صلى الله عليه وآله فلم يغزهم قريش بعد ذلك وكان هو يغزوهم حتى فتح الله عليهم مكة.

## لماذا يعادون الإسلام وأهله:

غالبا نجد المعارك والغزوات والأحداث الأخرى لها مقدمات سبقتها تكون بمثابة المبرر والدافع لقيامها وحدوثها. ونلاحظ أن هذا سمة واضحة

(١) سورة البقرة: آية٩.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٢٠، ص٢٠٩.

في الحروب التي خاضها النبيﷺ ضد المشركين، فنلاحظ أن هناك أسبابا خاصة لأغلب غزوات النبيﷺ والسرايا التي كان يبعثهاﷺ، وإن كانت تشترك جميعها بسبب واحد وهو الدفاع عن الإسلام وأهله، إلا أننا نجد أنهم يذكرون أسبابا للغزوات والسرايا.

ومن الملاحظ أن المشركين بدأ حقدهم وعداوتهم للنبيﷺ من حين إعلانهﷺ لرسالته الخالدة، بل لعله أسبق من ذلك كما هو حال اليهود، فقد ذكر أرباب السير والتاريخ أن هناك العديد من المحاولات قام بها اليهود للقضاء على النبيﷺ منذ ولادتهﷺ واستمرت حتى بعد البعثة، نعم عملوا بما وسعهم للقضاء على الإسلام ونبيهﷺ، فكانوا يحملون من الحقد والبغض والعداوة على الإسلام وأهله ما لا يعلمه إلا الله، وقد أوضح هذا الحال القران الكريم بشكل لا يشوبه أدنى التباس من خلال قوله تعالى: ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا**﴾[1]، واستمر هذا العداء بشكل مطرد فكلما اتسعت رقعة الإسلام وانتشر كلما زاد حقدهم وتآمرهم على الدين، ولازالوا على ذلك إلى يوم الناس هذا، فنجدهم اليوم وسابقاً يمارسون حربهم ضد الدين وأهله بشتى الأساليب والطرق سواء كانت العسكرية أم الدعائية أم بث الفرقة والتجزئة بين صفوف المسلمين أم من خلال زرع وصناعة عملاء لهم ممن باع نفسه ودينه وغرته الدنيا فكان من الخاسرين، نعم هناك فئة من الناس يسلكون شتى الطرق لإنجاح أهدافهم ومخططاتهم سواء كانت مشروعة أو غير مشروعة، وبعبارة أخرى مبدؤهم(الغاية تبرر الوسيلة).

---

(١) سورة المائدة: آية٨٢.

## أول من حفر الخندق:

صرح القمي في تفسيره: بأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان هو البادئ في حفر الخندق، حيث قال: (وأخذ معولاً، فحفر في موضع المهاجرين بنفسه. وأمير المؤمنين عليه السلام ينقل التراب من الحفرة، حتى عرق رسول الله صلى الله عليه وآله وعيي، وقال:

**لا عيش إلا عيش الآخرة ❊ اللهم اغفر للأنصار والمهاجرة**

فلما نظر الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يحفر اجتهدوا في الحفر، ونقلوا التراب، فلما كان في اليوم الثاني بكروا إلى الحفر، وقعد رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد الفتح)[(١)].

وقد ظهرت له صلى الله عليه وآله حينئذٍ كرامات ومعجزات، فقد ورد عن جابر بن عبد الله، قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله في حفر الخندق، وقد حفر الناس وحفر علي عليه السلام، فقال النبي صلى الله عليه وآله: (بأبي من يحفر وجبرائيل يكنس التراب بين يديه وميكائيل يعينه، ولم يكن يعين أحداً قبله من الخلق)[(٢)].

ثم قال النبي صلى الله عليه وآله لعثمان بن عفان: (إحفِر)، فغضب عثمان، وقال: لا يرضى محمد أن أسلمنا على يده حتى يأمرنا بالكدّ، فأنزل الله على نبيه: **﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**[(٣)]، كما ورد في قوله تعالى: **﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ**

---

(١) تفسير القمي، علي بن ابراهيم القمي: ج٢، ص١٧٧.

(٢) تفسير البرهان، السيد هاشم البحراني: ج٥، ص١٢٢.

(٣) سورة الحجرات: آية١٧.

**أَنْ أَسْلَمُوا﴾**، أنها نزلت في عثمان يوم الخندق، وذلك أنه مرّ بعمّار بن ياسر وهو يحفر الخندق، وقد ارتفع الغبار من الحفر، فوضع عثمان كمه على أنفه ومرّ، فقال عمّار:

**لا يستوي من يعمر المساجدا * يظلّ فيها راكعاً وساجدا**

**كمن يمُرّ بالغبـــــار حائـدا * يعرض عنه جاهِداً مُعاندا**

فالتفت إليه عثمان، فقال: يابن السوداء، إيّاي تعني؟ ثم أتى رسول الله ﷺ، فقال له: لم ندخل معك لتسبّ أعراضنا، فقال له رسول الله ﷺ: (قد أقلتك إسلامك فاذهب).

فأنزل الله تعالى: **﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**[١]، أي لستم صادقين **﴿إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾**[٢]، ففرغ رسول الله ﷺ من حفر الخندق قبل قدوم قريش بثلاثة أيام. وذكروا أيضاً: أنه قد بلغ طول الخندق نحواً من خمس آلاف ذراع-أي نحو ثلاث كيلو مترات- وعرضه تسعة أذرع، وعمقه سبعة أذرع[٣].

## مجموع الأحزاب:

تجاوز مجموع جيش المشركين عشرة آلاف رجل، في حين أن عدد

---

(١) سورة الحجرات: آية١٧.

(٢) سورة الحجرات: آية١٨.

(٣) راجع تفسير القمي، علي بن ابراهيم القمي: ج٢، ١٧٧، وتفسير البرهان، السيد هاشم البحراني: ج٥، ص١٢٢وغيرهما.

المسلمين تسعمائة رجل أو أكثر، وكانوا قد جعلوا مخيمهم الأصلي أسفل جبل سلع، وكانت نقطة مرتفعة جنب المدينة مشرفة على الخندق، وكانوا يستطيعون عن طريق رماتهم السيطرة على حركة المرور من الخندق. على كل حال، فإن جيش الكفار قد حاصر المسلمين من جميع الجهات، وطالت هذه المحاصرة عشرين يوما، وقيل خمسة وعشرين يوما، وعلى بعض الروايات شهرا[١].

قال العاملي في الصحيح من السيرة: كان رسول الله ﷺ أمر أصحابه أن يحرسوا المدينة بالليل، وكان أمير المؤمنين عليه السلام على العسكر كله بالليل يحرسهم، فإن تحرك أحد من قريش نابذهم. وكان أمير المؤمنين عليه السلام يجوز الخندق، ويصير إلى قرب قريش حيث يراهم، فلا يزال الليل كله قائماً وحده يصلي، فإذا أصبح رجع إلى مركزه. ومسجد أمير المؤمنين عليه السلام هناك معروف، يأتيه من يعرفه، فيصلي فيه، وهو من مسجد الفتح - وهو المكان الذي كان النبي ﷺ يصلي ويدعو به، خصوصاً عندما خرج الإمام علي عليه السلام لمقاتلة عمرو بن عبد ود، وهذا المسجد موجود الآن لكنه مهمل تماماً، وهو ضمن المساجد السبعة في المدينة المنورة- إلى العقيق أكثر من غلوة نشابة[٢].

## مسجد في موضع صلاة علي عليه السلام:

وقد بقي المسجد في ذلك المكان الذي كان علي عليه السلام يرصد ويصلي فيه طوال الليل، بقي ذلك الشاهد الصادق على هذه التضحيات الجسام من أمير المؤمنين عليه السلام، وقد صمد هذا المسجد عشرات أو مئات الأعوام، وهو الآن

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٢٠، ص٢٢٨.

(٢) الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ، السيد جعفر مرتضى العاملي: ج٤، ص٩.

متروك آيل إلى السقوط والهدم، ويمنعون الناس من الوصول إليه. وهذا يأتي ضمن مخطط الفئة الوهابية لمحو آثار الإسلام وبخاصة ما يتعلق بالنبي وأهل بيته عليهم السلام، حيث هدمت قبور أهل البيت عليهم السلام، وأزالت المساجد، ومحت الآثار الدالة على جهاد رسول الله صلى الله عليه وآله وجهاد وصيه عليه السلام، والشاهدة على تضحيات الأخيار من أصحابه.

## علي عليه السلام يسد طريق الهرب:

وذُكر أنه لما عبر عمرو بن عبد ود ومن معه الخندق أمر النبي عليه السلام علياً عليه السلام، بأن يمضي بمن خف معه ليأخذ الثغرة عليهم، وقال صلى الله عليه وآله: (فمن قاتلكم عليها فاقتلوه)[1].

فخرج عليه السلام في نفر من المسلمين حتى أخذ الثغرة، وسلمها إليهم، فوقف عمرو، وطلب البراز، فلم يبرز إليه أحد من المسلمين، وخافوا منه خوفاً شديداً، لما يعرفون من شجاعته وفروسيته، وكان يعد بألف فارس، وطلب الإمام عليٌّ عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله أن يأذن له بمبارزته فلم يأذن له، فكرر عمرو النداء، وأنشد الشعر، وعيَّر المسلمين المحجمين عنه، فطلب الإمام عليه السلام الإذن مرة أخرى فلم يأذن له الرسول صلى الله عليه وآله، فلما كان في المرة الثالثة، ولم يبادر إلى ذلك سوى علي عليه السلام أذن له النبي صلى الله عليه وآله ودعا له، وأعطاه سيفه ذا الفقار وألبسه درعه وعممه بعمامته وقال: (اللهم أعنه عليه)[2].

وفي رواية أنه صلى الله عليه وآله رفع عمامته إلى السماء وقال: (إلهي

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج١، ص١٩٨.

(٢) إحقاق الحق، التستري: ج٨، ص٣٧١.

أخذت عبيدة مني يوم بدر وحمزة يوم أحد وهذا علي أخي وابن عمي فلا تذرني فردا وأنت خير الوارثين)[١]، فبرز إليه علي عليه السلام وهو يقول:

| | |
|---|---|
| **لا تعجلن فقد أتا** | **ك مجيب صوتك غير عاجز** |
| **ذو نية وبصيرة** | **والصدق منجي كل فائز** |
| **إني لأرجو أن أقيم** | **عليك نائحة الجنائز** |
| **من ضربة نجلاء يبـ** | **قى صيتها بعد الهزاهز** |

فقال له عمرو: من أنت؟ قال أنا علي، قال ابن من؟ قال ابن عبد مناف، أنا علي بن أبي طالب، فقال غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أشد منك فانصرف فاني أكره أن أهريق دمك، فإن أباك كان لي صديقا وكنت له نديما، قال علي عليه السلام: لكني والله ما أكره أن أهريق دمك فغضب، وفي رواية أنه قال: (إني لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك فارجع وراءك خير لك)[٢].

قال ابن أبي الحديد: (كان شيخنا أبو الخير يقول إذا مررنا عليه في القراءة بهذا الموضع: والله ما أمره بالرجوع إبقاءً عليه بل خوفاً منه فقد عرف قتلاه ببدر وأُحد وعلم أنه إن ناهضه قَتَلَه فاستحيا أن يظهر الفشل فأظهر الإبقاء والارعاء وأنه لكاذب فيهما)[٣].

---

(١) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ج١، ص٣٩٠.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٣٩، ص٦.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج١٩، ص٦٤.

وقال صلى الله عليه وآله: (برز الإيمان كله إلى الشرك كله)[١]، فبارزه علي عليه السلام فقتله، وقتل ولده حسلاً، ونوفل بن عبد الله، وفر الباقون.

## الأوسمة الإلهية:

قال صلى الله عليه وآله: (ضربة علي يوم الخندق تعدل (أو أفضل من) عبادة الثقلين إلى يوم القيامة)[٢].

وقال السيد محسن الأمين: (أقل نظرة يلقيها الإنسان على تلك الحال توصله إلى اليقين بأن ضربة علي يومئذ أفضل من عبادة الجن والأنس والملائكة وملايين من العوالم أمثالهم لو كانت سواء أجاء الحديث بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله أم لم يجئ ومتى احتاج النهار إلى دليل، ولولا تلك الضربة لما عُبد الله بل عبدت الأوثان، وقد يسال سائل هنا فيقول: لما عبر عمرو والأربعة معه الخندق لماذا لم يقم إليهم المسلمون فيقتلوهم وهم خمسة نفر والمسلمون كثيرون يفوقونهم عددا والمشركون يصعب عليهم إنجادهم لوجود الخندق؟

**والجواب**: أن المسلمين كان قد استولى عليهم الخوف والهلع وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وذهبت بهم الظنون، وكان عبور المشركين من ثغرة الخندق غير مأمون ولذلك بدر علي قبل قتله عمرا إلى الثغرة مع جماعة فحماها وقد كادت نفوس الذين معه تطير جزعا كما مر ورجع بعد قتل

(١) شواهد التنزيل، الحسكاني: ج٢، ص٦٦.

(٢) راجع النصوص التي تشير إلى ذلك في: بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٣٦، ص١٦٥، كنز العمال، المتقي الهندي: ج١٢، ص٢١٩، وتاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ج١٣، ص١٩، ومناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج٣، ص١٣٨، وغيرها الكثير.

عمرو فحماها أيضاً)[١].

قال الشيخ المفيد: (وكان قتل علي عليه السلام عمرا ونوفلا سبب هزيمة المشركين، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله بعد قتله هؤلاء النفر: (الآن نغزوهم ولا يغزوننا)، وذلك قوله تعالى: ﴿**وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً**﴾، وروى علي بن الحكيم الأودي قال سمعت أبا بكر بن عياش يقول: لقد ضرب علي ضربة ما كان في الإسلام أعز منها -يعني ضربه عمرو بن عبد ود- ولقد ضرب عليه السلام ضربة ما ضرب في الإسلام أشأم منها يعني ضربة ابن ملجم)[٢].

---

(١) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ج١، ص٢٦٥.

(٢) الإرشاد، الشيخ المفيد: ج١، ص١٠٥.

# غزوة بني قريضة

بنو قريظة: كان في المدينة ثلاث طوائف معروفة من اليهود، وهم: بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع، وكانت هذه الطوائف قد عاهدت النبي صلى الله عليه وآله على أن لا تعين عدواله ولا تتجسّس لذلك العدو، وأن يعيشوا مع المسلمين بسلام، وجاءت يهود قريظة، والنضير، وقينقاع، وطلبوا الهدنة من رسول الله صلى الله عليه وآله، (فكتب لهم بذلك، على أن لا يعينوا عليه أحداً، ولا يتعرضوا لأحد من أصحابه بلسان، ولا يد، ولا بسلاح، ولا بكراع، في السر، ولا في العلانية، لا بليل ولا بنهار، فإن فعلوا فرسول الله صلى الله عليه وآله في حل من سفك دمائهم، وسبي ذراريهم ونسائهم، وأخذ أموالهم، وكتب لكل قبيلة كتاباً على حدة، وكان الذي وُلِّي أمر قريظة كعب بن أسد، والذي تولى أمر بني النضير حُييّ بن أخطب، والذي وُلِّي أمر بني قينقاع مخيريق وكان أكثرهم مالا وحدائق)[1].

إلا أن (بني قينقاع) قد نقضوا عهدهم وكانوا أول اليهود الذين نقضوا عهدهم مع النبي صلى الله عليه وآله، في السنة الثانية للهجرة، وكانوا صاغة ولهم سوق الذهب قرب المدينة، فأجلاهم صلى الله عليه وآله عن المدينة وطُردوا إلى خارجها، فذهبوا إلى أذرعات الشام، ونقض بنو النضير عهدهم في السنة الرابعة للهجرة بأعذار

---

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسي: ج١، ص١٥٨، وبحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج١٩، ص١١٠و١١١.

شتى، وصمموا على مواجهة النبيصلى الله عليه وآله وانهارت مقاومتهم في النهاية، وذهب بعضهم إلى خيبر، وبعضهم الآخر إلى الشام[1]، بناء على هذا فإن (بني قريظة) كانوا آخر من بقي في المدينة إلى السنة الخامسة للهجرة حيث وقعت غزوة الأحزاب، فإنهم نقضوا عهدهم في هذه المعركة، واتصلوا بمشركي العرب، وشهروا السيوف بوجه المسلمين، وحينما نقرأ التاريخ، فإن ما يلفت النظر هو تكرر الغدر من اليهود، واستمرارهم في نقض العهود والمواثيق، مرة بعد أخرى، كما كان الحال بالنسبة لبني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة، ولعل هذا أمر طبيعي بالنسبة إلى قوم يَزِنون الأمور بموازين الربح والخسارة في الدنيا، فإن مَن كان كذلك لا يلتزم بالصدق مثلاً لأجل أن له قيمة أخلاقية أو إنسانية، أو لأن فيه رضا الله سبحانه وتعالى وإنما يلتزم به لأنه يجلب له نفعاً دنيوياً ملموساً، أو يدفع عنه ضرراً كذلك. وبدون ذلك، فإنه لا يجد مبرراً ولا دافعاً للالتزام به، بل هو حين يلتزم بصدق لا يشعر بنفعه الدنيوي يجد نفسه متناقضاً مع مبدئه، ومع منطلقاته في التفكير وفي العمل، التي رضيها لنفسه.

ونجد في مقابل ذلك التزاماً تاماً من قبل النبيصلى الله عليه وآله بالعهود والمواثيق المعقودة، لذا فإن الله سبحانه وتعالى أمر رسولهصلى الله عليه وآله بأن ينبذ مثل هذه الاتفاقيات ويعلن الحرب على هؤلاء المتقلبين النفعيين. قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ * فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً**

---

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ج٢، ص١٣٧ – ١٧٣.

فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾[١].

بعد انتهاء غزوة الأحزاب والتراجع المشين والمخزي لقريش وغطفان وسائر قبائل العرب عن المدينة، فإن النبي ﷺ طبقا للروايات الإسلامية عاد إلى منزله وخلع لامة الحرب فنزل عليه جبرئيل يبلغه أمر الله بالمسير نحو بني قريظة وإنهاء أمرهم وكما سيأتي تفصيل ذلك.

لم تكن هناك فرصة لتصفية الحساب مع بني قريظة أفضل من هذه الفرصة، حيث كان المسلمون في حرارة الانتصار، وبنو قريظة يعيشون لوعة الهزيمة المرة، وقد سيطر عليهم الرعب الشديد، وكان حلفاؤهم من قبائل العرب متعبين منهكي القوى خائري العزائم، وهم في طريقهم إلى ديارهم يجرون أذيال الخيبة، ولم يكن هناك من يحميهم ويدافع عنهم، هنا نادى مناد من قبل رسول الله ﷺ بأن توجهوا إلى بني قريظة قبل أن تُصلُّوا العصر، فاستعد المسلمون بسرعة وتهيئوا للمسير إلى الحرب، وما كادت الشمس تغرب إلا وكانت حصون بني قريظة المحكمة محاصرة تماماً.

## أين يسكن بنو قريظة:

وكان بنو قريظة يسكنون جنوبي المدينة وقد نزلوا بالعالية على وادي مهزور ولهم فيها بساتين، شرقي مسجد قباء، ومسجد الشمس (مسجد الفضيخ)، وذلك حيث يقع مسجد بني قريظة، في الحرة الشرقية، المعروفة بحرة واقم، وتسمى حرة بني قريظة أيضاً، لأنهم كانوا بطرفها القبلي.

---

(١) سورة الأنفال: آية٥٦ – ٥٨.

## أسباب الغزوة:

إن القرآن الكريم يشهد بأن الدافع الأساس لهذه الحرب هو دعم يهود بني قريظة لمشركي العرب ومساندتهم في حرب الأحزاب، لأنه يقول: الذين ظاهروهم، قال تعالى: ﴿**وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِن أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً**﴾[1]، إضافة إلى أن اليهود في المدينة كانوا يُعتبرون الطابور الخامس لأعداء الإسلام، وكانوا مجدين في الإعلام المضاد للإسلام، ويغتنمون كل فرصة مناسبة للبطش بالمسلمين والفتك بهم.

كما أن اليهود يعتقدون: أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم شعب الله المختار، ومعنى ذلك هو: أن دعوة محمد ﷺ سوف تصبح خطراً أكيداً على امتيازهم هذا الذي يرون فيه مبرر وجودهم، ورمز كل عزتهم، وخلاصة مجدهم، فكانوا يجدون أنفسهم ملزمين بإضعاف أمر هذه الدعوة، وإسقاطها، بقدر ما هم مكلفون بالحفاظ على حياتهم ووجودهم، وكل خصائصهم. وهم معنيون أكثر من أي فريق آخر بذلك ؛ لأن خسارتهم هذه الورقة، وفقدانهم هذا الأمر إنما يعني خسارتهم لكل شيء، ثم إنهم أمعنوا في بغيهم وعداوتهم حين بادروا إلى إظهار الكلام القبيح في حق رسول الله ﷺ، رغم أن المفروض بالمذنب والمعتدي والناكث للعهود أن يستحي من نفسه، وأن يظهر الندم على ما بدر منه.

---

(١) سورة الأحزاب: آية٢٦ – ٢٧.

## اليهود تبغض علياًعليه السلام:

كانت اليهود تبغض علياًعليه السلام وكان سبب حقدهم عليهعليه السلام والدعاء عليه، هو ما فعله بإخوانهم من بني النضير وبني قينقاع، يضاف إلى ذلك: رؤيتهم آمالهم تتبخر على يديه، بما سجله من نصر مؤزر على أهل الشرك، بقتل أعظم فرسانهم في الخندق، بالإضافة إلى ما فعله فيهم في أحد وبدر قبل ذلك، ثم هم يتوقعون أن يواجهوا مصيرهم الأسود على يديه المباركتين، ولا بد أنهم قد لاحظوا: أن سائر من كان مع رسول اللهصلى الله عليه وآله لم يكن يتمتع بمثل ما تمتع به عليعليه السلام من القرب من النبيصلى الله عليه وآله والشجاعة الظاهرة والإخلاص والتفاني في نصرة النبيصلى الله عليه وآله، بل ربما كان أثر بعضهم سلبياً وخطيراً على الإسلام وعلى رسول اللهصلى الله عليه وآله في أحيان كثيرة.

فعليعليه السلام هو المحور، وهو الأساس بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله. ويتضح ذلك من خلال ما ذكره التاريخ من الكلام الذي دار بين الوصيعليه السلام وأحد كبار زعماء اليهود، قال العاملي في الصحيح من سيرة الإمام عليعليه السلام: (إن حُييّ بن أخطب أقيم للقتل بين يدي أمير المؤمنينعليه السلام وهو يقول: قتلة شريفة بيد شريف، فقال له عليعليه السلام: إن خيار الناس يقتلون شرارهم، وشرار الناس يقتلون خيارهم، فالويل لمن قتله الخيار الأشراف، والسعادة لمن قتله الأراذل الكفار. فقال: صدقت)[1].

## الأمر الإلهي:

قال الشيخ الطبرسي: (وأصبح رسول اللهصلى الله عليه وآله (بعد غزوة الخندق)

---

(١) الصحيح من سيرة الإمام عليعليه السلام، السيد جعفر مرتضى العاملي: ج٤، ص١٣٩.

بالمسلمين حتى دخل المدينة، فضربت ابنته فاطمة عليها السلام غسولاً حتى تغسل رأسه، إذ أتاه جبرئيل على بغلة معتجراً بعمامة بيضاء، عليه قطيفة من إستبرق، معلق عليها الدر والياقوت عليه الغبار، فقام رسول صلى الله عليه وآله فمسح الغبار عن وجهه، فقال له جبرئيل: رحمك ربك وضعت السلاح ولم يضعه أهل السماء! ما زلت أتبعهم حتى بلغتُ الروحاء!

ثم قال جبرئيل: إنهض إلى إخوانهم من أهل الكتاب، فوالله لأدقنهم دق البيضة على الصخرة، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام فقال:(قدّم راية المهاجرين إلى بني قريظة) وقال: (عزمت عليكم أن لا تصلّوا العصر إلا في بني قريظة)، فأقبل علي عليه السلام ومعه المهاجرون وبنو عبد الأشهل وبنو النجار كلها لم يتخلف عنه منهم أحد، وجعل النبي صلى الله عليه وآله يرسل إليه الرجال، فما صلى بعضهم العصر إلا بعد العشاء)[١].

قال الشيخ المفيد: (قال عليّ: سرت حتى دنوت من سورهم فأشرفوا عليّ، فلما رأوني صاح صائح منهم: قد جاءكم قاتل عمرو، وقال آخر: قد أقبل عليكم قاتل عمرو وجعل بعضهم يصيح ببعض ويقولون ذلك، وألقى الله في قلوبهم الرعب، حتى ركزت الراية في أصل الحصن)[٢].

فأشرف اليهود على الإمام عليه السلام وسبُّوه، وقالوا: فعل الله بك وبابن عمك، وهو واقف لا يجيبهم، فلما أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمون حوله تلقاه أمير المؤمنين عليه السلام وقال: لا تأتهم يا رسول الله جعلني الله فداك، فإن الله سيجزيهم»، فعرف رسول الله صلى الله عليه وآله أنهم قد شتموه، فقال: (أما إنهم لو رأوني

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسي: ج١، ص١٩٤.

(٢) الإرشاد، الشيخ المفيد: ج١، ص١٠٩- ١١٠.

ما قالوا شيئاً مما سمعت)[١].

فحاصرهم النبيﷺ حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب، وقد كان حييّ بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما عاهده عليه، وأيقنوا أنهﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، إلا أنهم أخذوا بالمراوغة والتسويف فتباطؤا في التسليم والنزول على حكم النبيﷺ فصاح بهم علي بن أبي طالبعليه السلام فخافوا وعجزوا عن المواجهة.

قال الحميري: (حدثني من أثق به من أهل العلم أن علي بن أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قريظة: (يا كتيبة الإيمان! وتقدم وقال: (والله لأذوقن ما ذاق حمزة، أو لأفتحن حصنهم)، فقالوا: يا محمد ننزل على حكم سعد)[٢].

وكان سعد أصاب أكحله نبلة في الأحزاب فقال: (اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لحربهم، وإن كنت دفعتها فاجعلها لي شهادة، ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة)[٣].

قال الإمام الصادقعليه السلام: (فحكم فيهم يعني سعداً بقتل الرجال (المحاربين) وسبي الذراري والنساء وقسمة الأموال، وأن يجعل عقارهم للمهاجرين دون الأنصار، فقال النبيﷺ: (لقد حكمت فيهم بحكم الله فوق سبعة أرقعة)[٤]، فقتل منهم أربعمائة وخمسين رجلًا، وقسم الأموال

---

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسي: ج١، ص١٩٥.

(٢) السيرة النبوية، الحميري: ج٣، ص٧٢١.

(٣) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج١، ص١٧٢.

(٤) المصدر السابق.

واسترق الذراري.

(وبعد أن انتهى أمر بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ ودام نزفه حتى مات رحمه الله شهيداً، فكرمه الرسول صلى الله عليه وآله مزيد تكريم)[1].

## مدة الحصار:

حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وآله خمساً وعشرين ليلة حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ. روى السيد محسن الأمين: سار إليهم صلى الله عليه وآله في المسلمين، وذلك يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة، فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة، وقيل خمسة عشر يوماً[2].

## فكروا ولكن:

كان بنو قريظة يعرفون جدية النبي صلى الله عليه وآله في محاصرته لهم، فأرسلوا أحد زعمائهم وهو شأس (نباش) بن قيس لمفاوضته فكلم رسول الله صلى الله عليه وآله ساعة وقال: يا محمد ننزل على ما نزلت عليه بنو النضير، لك الأموال والحلقة (السلاح) وتحقن دماءنا، ونخرج من بلادكم بالنساء والذراري ولنا ما حملت الإبل إلا الحلقة. فأبى رسول صلى الله عليه وآله، فقالوا: فتحقن دماءنا وتسلم لنا النساء والذرية ولا حاجة لنا فيما حملت الإبل.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا. إلا أن تنزلوا على حكمي. فرجع نباش إلى أصحابه بمقالة رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال كعب بن أسد: يا معشر بني قريظة: والله إنكم لتعلمون أن محمداً نبي الله وما منعنا من الدخول معه إلا الحسد للعرب،

(١) راجع الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، السيد جعفر مرتضى العاملي: ج١١، ص٢٦٣.
(٢) راجع اعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ج١، ص٢٦٦.

حيث لم يكن نبياً من بني إسرائيل، فهو حيث جعله الله ! ولقد كنت كارهاً لنقض العهد والعقد، ولكن البلاء وشؤم هذا الجالس يعني حي بن أخطب علينا وعلى قومه، وقومه كانوا أسوأ منا! لا يستبقي محمد رجلاً واحداً إلا من تبعه، أتذكرون ما قال لكم ابن حواس حين قدم عليكم فقال: تركت الخمر والخمير والتأمير، وجئت إلى السقاء والتمر والشعير؟! قالوا: وما ذلك؟ قال: يخرج من هذه القرية نبي، فإن خرج وأنا حي اتبعته ونصرته، وإن خرج بعدي فإياكم أن تخدعوا عنه، فاتبعوه وكونوا أنصاره وأولياءه، وقد آمنتم بالكتابين كليهما الأول والآخر. قال كعب: فتعالوا فلنتابعه ولنصدقه ولنؤمن به، فنأمن على دمائنا ونسائنا وأموالنا، فنكون بمنزلة من معه. قالوا: لا نكون تبعاً لغيرنا، نحن أهل الكتاب والنبوة ونكون تبعاً لغيرنا؟! فجعل كعب يرد عليهم الكلام بالنصيحة لهم. قالوا: لا نفارق التوراة ولا ندع ما كنا عليه من أمر موسى. قال: فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج في أيدينا السيوف إلى محمد وأصحابه فإن قتلنا قتلنا وما وراءنا أمر نهتم به، وإن ظفرنا فلعمري لنتخذن النساء والأبناء! فتضاحك حيي بن أخطب ثم قال: ما ذنب هؤلاء المساكين؟! وقالت رؤساء اليهود: الزبير بن باطا وذووه: ما في العيش خير بعد هؤلاء. قال: فواحدة قد بقيت من الرأي لم يبق غيرها، فإن لم تقبلوها فأنتم بنو استها. قالوا: وما هي؟ قال: الليلة السبت، وبالحري أن يكون محمد وأصحابه آمنين لنا فيها أن نقاتله، فنخرج فلعلنا أن نصيب منهم غرة. قالوا: نفسد سبتنا، وقد عرفت ما أصابنا فيه! قال حي: قد دعوتك إلى هذا وقريش وغطفان حضور فأبيت أن تكسر السبت، فإن أطاعتني اليهود فعلوا. فصاحت اليهود: لا نكسر السبت! قال نباش بن قيس: وكيف نصيب

منهم غرة، وأنت ترى أن أمرهم كل يوم يشتد! كانوا أول ما يحاصروننا إنما يقاتلون بالنهار ويرجعون الليل فكان هذا لك قولاً لو بيتناهم. فهم الآن يبيتون الليل ويظلون النهار، فأي غرة نصيب منهم؟! فاختلفوا وسقط في أيديهم وندموا على ما صنعوا[١].

## طريقة الرمز في نقل المعلومات الحساسة:

من الواضح أن سنة النبي صلى الله عليه وآله -القولية والفعلية والتقريرية- واحدة من مصادر التشريع الإسلامي التي يعتمدها ويأخذ عنها العلماء، كيف لا وهو القائد الإلهي المعصوم ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾[٢].

فنلاحظ ان النبي صلى الله عليه وآله كان يستخدم الرموز السرية للتخاطب واستلام المعلومات فيما بينه وبين من اختارهم لمهمات خاصة، وقد ذكرت النصوص التاريخية ذلك، فنجده صلى الله عليه وآله (قد طلب من رسله إلى بني قريظة: أن يستعملوا طريقة الرمز في تأدية المعلومات إليه، إذا كانت تلك المعلومات ذات طابع خاص يميزها بالخطورة والحساسية، وكان للجهر بها أثر سلبي على المعنويات. كما أن ذلك يفرض أن يكون الذين يتم اختيارهم لمهمات من هذا القبيل لديهم المؤهلات الكافية لاختيار أسلوب الرمز المناسب مع قدرتهم على تصنيف المعلومات نفسها وفقاً للخطة التي ترسمها القيادة)[٣].

---

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، السيد جعفر مرتضى العاملي: ج١٢، ص٥١، المغازي، والواقدي: ج١، ص٥٠٢.

(٢) سورة النجم: آية٣ – ٥.

(٣) الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، السيد جعفر مرتضى العاملي: ج١٠، ص٣٢٣.

وهذا الشيء تعمل به القوات العسكرية إلى هذا العصر، ومن هذا الموقف وغيره تتجلى عظمة الإسلام وعظمة قائد الإسلامﷺ في الحنكة والقيادة العسكرية وغيرها، لذا فإنهﷺ يُعد رائد وباني الحضارة الإنسانية.

**وسام الفتح**:

نلاحظ أن وسام الفتح في هذه المعركة هو عبارة عن بشارة للعالمين عامة، وللأمة الإسلامية بصورة خاصة، بشارة تفيض رحمة وبركة، ومُعبدة للطريق، ومُجلية للبصائر، ومُطمئنة للقلوب. فبعد أن حسم المعركة أمير المؤمنين‌عليه السلام، وجندل أبطال اليهود في الميدان. أعلن النبيﷺ تلك الوصية الخالدة والتي تتضمن تعيين وتنصيب الخليفة من بعدهﷺ، والتي بقيت في أذهان المسلمين. وعند محاولة البعض الالتفاف على النص بعد سنوات صدع بها الصحابي خالد بن سعيد بن العاص الأموي في مسجد رسول اللهﷺ، حيث يحدثنا التاريخ: (أن جماعة من الصحابة اعترضوا على أبي بكر على إقدامه على غصب الخلافة من علي‌عليه السلام بعد وفاة النبيﷺ. وكان أول من تكلم منهم خالد بن سعيد بن العاص الأموي، فقال له: اتق الله يا أبا بكر فقد علمت أن رسول اللهﷺ قال ونحن محتوشوه[١] يوم بني قريظة حين فتح الله له باب النصر وقد قتل علي بن أبي طالب‌عليه السلام يومئذ عدة من صناديد رجالهم وأولي البأس والنجدة منهم: يا معاشر المهاجرين والأنصار إني أوصيكم بوصية فاحفظوها ومودعكم أمرا فاحفظوه، ألا إن علي بن أبي طالب أميركم بعدي وخليفتي فيكم بذلك أوصاني ربي، ألا وإنكم إن لم تحفظوا فيه وصيتي وتوازروه وتنصروه اختلفتم في أحكامكم واضطرب عليكم أمر دينكم

(١) أي: محيطون به.

ووليكم أشراركم، ألا وإن أهل بيتي هم الوارثون لأمري والعالمون لأمر أمتي من بعدي اللهم من أطاعهم من أمتي وحفظ فيهم وصيتي فاحشرهم في زمرتي واجعل لهم نصيبا من مرافقتي يدركون به نور الآخرة، اللهم ومن أساء خلافتي في أهل بيتي فأحرمه الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض)[1].

**إشارة وإيقاظ**:

إن النبي الكريم صلى الله عليه وآله قد حصر عواقب نقض وصيته صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام بأمور ثلاثة، هي:

١- الاختلاف في الأحكام.

٢- اضطراب أمر دينهم عليهم.

٣- أن يليهم شرارهم. بالإضافة إلى عذاب الآخرة والحرمان من الجنة.

وهي أمور لا بد أن يولوها أهمية بالغة، لأنها تضر بسعادتهم الدنيوية، والأخروية على حد سواء. فإن ولاية الأشرار تضر بأمنهم، بجميع وجوهه، وفي مختلف مواقعه، فلا أمن على الأوراح، ولا على الأعراض، ولا على الأموال. كما أنه يفقدهم الثقة بسياسات حكامهم، وبنواياهم، وبصحة تفكيرهم، وسلامة قراراتهم ويفقدهم القدرة على التخطيط للمستقبل، الأمر الذي يجعلهم في مهب الريح، تتقاذفهم رياح الأهواء، وتكون قراراتهم مرتجلة، وعشوائية، وغبية، ويكون غيرهم هو الذي يتحكم بمصيرهم،

---

(١) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي: ج١، ص٩٩.

حسبما يحلو له، وبما ينسجم مع ما يراه من مصلحته. وذلك هو الضياع والخسران المبين في الحياة الدنيا.

كما أن إبعاد من نصبه الله ولياً وحاكماً وإماماً عن موقعه الطبيعي، يؤدي بهم إلى الاختلاف في الأحكام، لأن الناس إذا تركوا إمامهم صاروا مثل غنم غاب عنها راعيها. ولن يجديهم نفعاً لجوؤهم إلى أناس عاديين مثلهم، فإنهم سوف لا يهتدون إلى كثير من الأحكام.

## حرب مؤتة

عندما هاجر النبي الأعظمﷺ إلى المدينة المنورة أسس دولة الإسلام المباركة، ولعلها الدولة الوحيدة الموجودة في الجزيرة العربية آنذاك من حيث القيادة والتنظيم، وفي الوقت عينه كانت المنطقة المجاورة لها تعيش صراعاً كبيراً للسيطرة عليها من قبل دولتين عظمتين، وهما: دولتا الروم وفارس، وكانت بينهما عدة من الوقائع، وحدث أن انتصر الروم على دولة فارس في بلاد الشام، وعلى إثر ذلك تزايدت رغبة الروم في غزو مدينة النبيﷺ وإيقاف المد الإسلامي والحد من انتشاره في المنطقة وخارجها، وهذا واضح من خلال قتلهم لرُسل النبيﷺ، وقد نشبت بين المسلمين وبين الروم عدة من المعارك منها: غزوة دومة الجندل، وتقع دومة الجندل على خمس ليال من دمشق، وهي من أعمال الشام، وكذا المعركة التي قادتها سرية من المسلمين قصدت منطقة(ذات اطلاح) وهي في البلقاء من الأردن.

**رسالة مهمة:** ولم يكن هذا الأمر خافياً على النبي الأعظمﷺ، لذا كانﷺ يراقب تحركات دولة الروم، وعلى إثر ذلك قامﷺ بخطوة عظيمة يوصل من خلالها رسالة مهمة إلى دولة الروم بأنه على استعداد للمواجه ويمتلك جيشاً قادراً على تحمل الصعاب وتحدي جيش الروم وقتالهم على أبواب القدس، تمثلت هذه الرسالة بإرساله جيشاً مكوناً من عدة آلاف، يقطع

تلك المسافات الطويلة، ويغزو الروم في عقر دارهم، ولما كانت هذه الغزوة تُمثل إثبات القوة النوعية للمسلمين، لذا فقد اختارﷺ الصحابي جعفر بن أبي طالبعليه السلام الطيار ذا الجناحين قائدا لهذه الغزوة، وهو ممن عُرف بالشجاعة والبسالة وممن تربّع بجدارة واستحقاق على عرش البطولة والشهامة، فهو من بيت عُرف بالولاء والمحبة ونصرة الدين، وهو ممن له الخبرة والدراية في التعامل مع الروم، قد اكتسبها عندما أرسله النبيﷺ ممثلا له في الحبشة وقائداً للمهاجرين آنذاك، فقد مارس دوراً مهما آنذاك في استقرار مُلك مَلك الحبشة في صراعه مع الروم.

## موقع مؤتة:

تقع مؤتة قرب مدينة الكرَك جنوبي عَمّان عاصمة الأردن، وتبعد عنها ١٢٠ كم وتبعد عن القدس نحو ٧٠ كم، وعن المدينة المنورة أكثر من ١١٠٠ كم، وتسمى المزار، لأن فيها مرقد ومزار جعفر بن أبي طالبعليه السلام وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة.

قال الحموي: (مؤتة قرية من قرى البلقاء في حدود الشام، بها قبر جعفر بن أبي طالب. بعث النبيﷺ إليها جيشاً في سنة ثمان، فساروا حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف، ثم دنا العدو وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة فالتقى الناس عندها، فلقيتهم الروم في جمع عظيم)[1].

---

(١) معجم البلدان، الحموي: ج٥، ص٢٢٠.

## سبب الغزوة:

في السنة السادسة للهجرة كان النبيﷺ يرسل الرسل إلى الملوك والقياصرة يدعوهم إلى الإسلام، ومن جملة هؤلاء هرقل الروم، حيث كتب لهﷺ: (بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين، و﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾[1])[2].

فكان جواب هرقل جوابا دبلوماسياً -بمصطلح اليوم- غير أن الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشام من قبل هرقل كان جوابه سيئاً، والذي يؤيد أن هرقل كان جوابه سياسياً أنه أقدم على قتل حاكم الأردن عندما أعلن إسلامه دون أن يرسل إليه النبيﷺ رسالة.

## يمكرون ولكن...

يظهر من خلال مجريات الأحداث والحروب التي خاضها الروم أنهم يمتلكون خبرة عسكرية، ويشهد لهذا انتصارهم على الإمبراطورية الفارسية آنذاك، وبعد قضائهم على دولة فارس في المنطقة توجهوا لغزو، مدينة النبي الأعظمﷺ، وجهزوا جيشاً لهذا الغرض من بلاد الشام، ولعله كان له اتصال

(١) سورة آل عمران: آية ٦٤.

(٢) السيرة الحلبية، الحلبي: ج٣، ص٢٨٧.

بمنافقي قريش واليهود.

## جواهر إلهية:

تكلم النبي الأعظمﷺ إلى جيشه بكلمات تعكس الرحمة والرأفة الإلهية، ثم أوصاهم بالوصايا الإلهية، حيث نقل المجلسي في البحار، عن الواقدي: (خرج النبيﷺ مشيعاً لأهل مؤتة حتى بلغ ثنية الوداع فوقف ووقفوا حوله فقال: (أغزوا بسم الله، فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام... ولا تقتلن امرأة ولا صغيراً ضرعاً ولا كبيراً فانياً، ولا تقطعن نخلاً ولا شجراً، ولا تهدمن بناء)[1].

وفي هذا الكلام دلالات واضحة على اهتمام الإسلام بشتى جوانب الحياة، وأنه لا يحمل إلا الرحمة والمحبة للناس، ولا يلجأ إلى الخيار العسكري إلا بعد استنفاد جميع الوسائل السلمية، فهو لا يحارب من منطلق حب التسلط على الآخرين ولا للانتقام وحب سفك الدماء، بل لدفع ظلمهم، وعتوهم عن نفسه، وعن غيره، وأن يفشل مخططاتهم ومؤامراتهم للقضاء على الإسلام، وأن يوفر للإنسان حريته في ممارسة معتقداته، وعدم الخضوع للجبر والإكراه، ثم إنهﷺ أعطى لواءه إلى وريث الشجاعة والبسالة جعفر بن أبي طالبرضي الله عنه.

## جعفر بن أبي طالبرضي الله عنه:

احتل الصحابي أبو عبد الله جعفر بن أبي طالب مكانة سامية ومؤثرة

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٢١، ص٦٠، عن الواقدي، في كتاب المغازي: ج٢، ص٧٥٨..

في تاريخ الإسلام، فقد كان أحد الصحابة الذين لهم الدور الفعّال والمؤثر في الدفاع والجهاد وتشييد الدين الإسلامي، فهو باتفاق المسلمين من أوائل المؤمنين بدعوة النبي صلى الله عليه وآله، فقد آمن بالنبي صلى الله عليه وآله في أول السنة التي بُعث فيها صلى الله عليه وآله، وكان من المصلين مع النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وخديجة عليها السلام والناس عاكفون على الأصنام. وكان جعفر رضي الله عنه من المقربين للنبي صلى الله عليه وآله، وقد هاجر الهجرتين، وقد جعله رسول الله صلى الله عليه وآله على المهاجرين إلى الحبشة، وقد أسلم ملك الحبشة على يديه، وكان له الدور الرئيس في نشر الإسلام في ارض الحبشة، ثم عاد منها بأمره صلى الله عليه وآله إلى المدينة المنورة، وصادف قدومه فتح خيبر فعانقه صلى الله عليه وآله وقال: (ما أدري بأيهما أنا أشد فرحا؟ بقدوم جعفر أم بفتح خيبر)[1]، وقد خصّه النبي صلى الله عليه وآله بهدية وهي الصلاة التي تسمى بصلاة جعفر.

**استشهاده رضي الله عنه:**

روى العلامة المجلسي في بحاره: (ثم غزا [أي جعفر] غزوة مؤتة في سنة ثمان من الهجرة وقاتل فيها حتى قطعت يداه جميعاً، ثم قُتِل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إن الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء)، فمن هنالك قيل له: جعفر ذو الجناحين)[2].

وعن ابن عمر قال: (وجدنا ما بين صدر جعفر ومنكبيه وما أقبل منه تسعين جراحة، ما بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح، ولما أتى النبي صلى الله عليه وآله نعي جعفر أتى امرأته أسماء بنت عميس فعزّاها في زوجها جعفر، ودخلت فاطمة

---

(١) راجع وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج٥، ص١٩٧، وبحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٢١، ص٢٧٦، وذخائر العقبي، الطبري: ص٢١٤. والاستيعاب، ابن عبد البر: ج١، ص٢٤٢.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٢٢، ص٦٣.

وهي تبكي وتقول: وا عماه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (على مثل جعفر فلتبك البواكي)(١).

وروى القاضي النعمان: عن أنس بن مالك قال: (خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وعيناه تذرفان، فقال: (أخذ الراية جعفر فقُتل، ثم أخذها زيد بن حارث فقتل، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقتل)(٢).

وفي المحاسن: عن موسى بن جعفر عليهما السلام قال: (سألت أبي عن المأتم؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما انتهى إليه قتل جعفر بن أبي طالب دخل على أسماء بنت عميس امرأة جعفر، فقال: أين بنى؟ فدعت بهم وهم ثلاثة، عبد الله، وعون، ومحمد، فمسح رسول الله رؤوسهم، فقالت: إنك تمسح رؤوسهم كأنهم أيتام؟ فتعجب رسول الله صلى الله عليه وآله من عقلها فقال: يا أسماء ألم تعلمي أن جعفراً رضي الله عنه استشهد، فبكت فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تبكى فإن جبرئيل عليه السلام أخبرني أن له جناحين في الجنة من ياقوت أحمر، فقالت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله لو جمعت الناس وأخبرتهم بفضل جعفر لا ينسى فضله، فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله من عقلها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ابعثوا إلى أهل جعفر طعاماً، فجرت السنة)(٣).

## صِل جناح ابن عمك:

عندما كان النبي صلى الله عليه وآله يصلي في الكعبة لم يكن معه سوى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فلما مرّ أبو طالب رضي الله عنه ورآهما التفت إلى ابنه جعفر وأمره بالصلاة

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٢٢، ص٦٣.

(٢) شرح الأخبار، القاضي النعماني: ج٣، ص٢٠٦.

(٣) المحاسن، البرقي: ج٢، ص٢٤٠.

معه في وقت لم يدخل في الإسلام بعد مَن أُلصقت له العناوين والأوسمة التي سُرقت من أصحابها الحقيقين، فقد روى الشيخ الصدوق: قال الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: (أول جماعة كانت، إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يصلي وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام معه، إذ مر أبو طالب به وجعفر معه، فقال: يا بني صِل جناح ابن عمك، فلما أحَسّه رسول الله صلى الله عليه وآله تقدمهما وانصرف أبو طالب مسروراً وهو يقول:

**إن عليا وجعفـــرا ثقتي عند ملم الزمان والكرب**

**والله لا أخـذل النـــبي ولا يخذله من بني ذو حسب**

**لا تخذلا وانصرا ابن عمكما أخي لأمي من بينهم وأبي**

قال: فكانت أول جماعة جُمعت ذلك اليوم)[1].

## الأمير الأول للمعركة:

ذكرت المصادر التي تدعمها السلطة أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله عيّن لقيادة جيش مؤتة زيداً فإن قُتل فجعفر فإن قُتل فعبد الله بن رواحة، أي: جعلوا جعفراً الثاني وزيداً الأول، وفي المقابل نجدهم يرون أن بني عبد المطلب لا يدانيهم أحد في الشجاعة والبطولة، ولم يرو أحد أن النبي صلى الله عليه وآله أمّر عليهم غيرهم، وقد أرسل صلى الله عليه وآله الإمام علياً عليه السلام وحمزة وجعفراً مراراً فلم يولِّ عليهم غيرهم، والملاحظ أن سياسة السلطة قامت على تحريف وإخفاء الحقائق، والتنقيص من مكانة عترة النبي صلى الله عليه وآله كما هي عاداتهم، قال صاحب الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: (إن غالب محدثي أهل السنة قالوا: بأنه صلى الله عليه وآله قد

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق: ص٥٩٧.

أمَّر على السرية زيداً أولاً، ولكن الصحيح هو أن الأمير الأول كان جعفر بن أبي طالب عليه السلام، كما ذهب إليه الشيعة)[1].

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي: (اتفق المحدثون على أن زيد بن حارثة كان هو الأمير الأول، وأنكرت الشيعة ذلك، وقالوا: كان جعفر بن أبي طالب هو الأمير الأول، فإن قتل فزيد بن حارثة، فإن قتل فعبد الله بن رواحة، ورووا في ذلك روايات، وقد وجدت في الأشعار التي ذكرها محمد بن إسحاق في كتاب المغازي ما يشهد لقولهم)[2].

ثم استشهد بقول حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، بل يمكن أن يستظهر ذلك من قول اليعقوبي، حيث قال: (.. ووجَّه جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة في جيش إلى الشام، لقتال الروم سنة ٨)[3]. ويمكن أن نستند في ذلك إلى عدة أمور:

١ - الروايات التي أشار إليها ابن أبي الحديد، الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، وقد قال السيد شرف الدين: (الصواب ما يقوله أصحابنا الإمامية، إن الأول من هؤلاء الأمراء إنما هو جعفر والثاني إنما هو زيد وثالثهم عبد الله بن رواحة، وأخبارنا في هذا متظافرة من طريق العترة الطاهرة)[4].

ومنها رواية أبان عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (إنه استعمل عليهم

---

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، السيد جعفر مرتضى العاملي: ج١٩، ص٣٠٩.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج١٥، ص٦٢.

(٣) تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي: ج٢، ص ٦٥.

(٤) النص والاجتهاد، السيد شرف الدين: ص٢٦.

جعفراً، فإن قتل فزيد، فإن قتل فابن رواحة)[١].

وما رواه ابن سعد في طبقاته: بإسناده عن أبي عامر، قال: (بعثني النبي إلى الشام، فلما رجعت مررت على أصحابي، وهم يقاتلون المشركين بمؤتة، قلت: والله لا أبرح اليوم حتى أنظر إلى ما يصير إليه أمرهم، فأخذ اللواء جعفر بن أبي طالب، ولبس السلاح (وقال غيره أخذ اللواء زيد بن حارثة)، وكان رأس القوم، ثم حمل جعفر، حتى إذا همَّ أن يخالط العدو، رجع فوحَّش بالسلاح، ثم حمل على العدو، فطاعن حتى قتل، ثم انهزم المسلمون أسوأ هزيمة رأيتها قط حتى لم أر اثنين جميعاً)[٢].

## سيف الله المسلول علي عليه السلام أم غيره؟:

إن المتتبع للتاريخ الإسلامي يستطيع أن يلحظ دون مزيد جهد أن الدفاع عن الإسلام اقترن بشخص الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فما من حدث صغير أو كبير، في بداية البعثة أو بعدها، بل حتى قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله، إلا وكان علي عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله، لكن مع كل هذا الوضوح نجد أن هناك مَن تعمّد التقليل من هذه الجهود والفضائل، بل أكثر من ذلك فإنهم سرقوها وألصقوها بأُناس بعيدين كل البعد عن هذا العطاء والفضل، وليت الأمر اقتصر على ذلك، بل تعدى إلى أن تُلصق مناقب وكرامات بطل الإسلام وناصره إلى مَن حارب الإسلام وأمضى حياته في محاربة الدين وأهله، قبل أن يتظاهر بالإسلام وبعده، حيث سفك دماء المؤمنين وسبا النساء المؤمنات وغيرها

---

(١) راجع مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج١، ص ١٧٦، وبحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٢١، ص ٥٥ وإعلام الورى بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسي: ج١، ص٢١٢.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد: ج٢، ص١٢٩.

من الجرائم التي يندى لها جبين الإنسانية، حتى وصل الأمر أن النبي صلى الله عليه وآله تبرأ من أفعاله ومما صنع.

ومن الأمور التي سرقها رواة السلطة لقب سيف الله، فنجد أن هناك الكثير من النصوص التي تؤكد أن النبي صلى الله عليه وآله أطلقه على أمير المؤمنين عليه السلام، قال صاحب الصحيح من سيرة النبي صلى الله عليه وآله: (غير أن الحقيقة هي أن هذا اللقب (سيف الله المسلول) هو من مختصات علي عليه السلام، ولكن قد سرق في جملة كثيرة من فضائله، ومناقبه عليه السلام، في غارات شعواء من الشانئين والحاقدين والمبطلين، والمزورين للحقائق)[١].

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (علي سيف الله يسله على الكفار والمنافقين)[٢]، وفي الحديث القدسي المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (وأيّدتك بعلي، وهو سيف الله على أعدائي)[٣].

## هزيمة أم انتصار:

روى رواة السلطة أن المسلمين في غزوة مؤتة بعد استشهاد القادة الثلاث صمدوا وانتصروا على الروم، إلا أن الحقيقة غير ذلك، فإن الواقع يُكذّب ذلك، ولعل كيفية استقبال أهل المدينة لهم يرسم الصورة الحقيقية تماماً، قال الصالحي الشامي: (وروى إسحاق عن عروة قال: لما أقبل أصحاب مؤتة تلقّاهم رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمون معه، قال: وجعل الناس يحثون على

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، السيد جعفر مرتضى العاملي: ج٢٠، ص٩٦.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٢٢، ص١٩٧.

(٣) راجع بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٤٠، ص٤٣، والكافي، الشيخ الكليني: ج٨، ص١١.

الجيش التراب ويقولون: يا فرار فررتم في سبيل الله)[١].

وقال الواقدي: (سمعت ثعلبة بن أبي مالك يقول: انكشف خالد بن الوليد يومئذٍ حتى عيّروا بالفرار وتشاءم الناس به، كما ذكر عن أبي سعيد الخدري قال: أقبل خالد بن الوليد بالناس منهزماً فلما سمع أهل المدينة بجيش مؤتة قادمين تلقّوهم بالجرف فجعل الناس يحثون في وجوههم التراب ويقولون: يا فرار أفررتم في سبيل الله)[٢].

وذكر ابن كثير: (قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، أن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله قالت لامرأة سلمة بن هشام بن المغيرة: مالي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومع المسلمين؟ قالت: ما يستطيع أن يخرج، كلما خرج صاح به الناس: يا فرار فررتم في سبيل الله، حتى قعد في بيته ما يخرج وكان في غزاة مؤتة)[٣].

---

(١) سبل الهدى والرشاد، الصالحي الشامي: ج٦، ص١٥٥.

(٢) المغازي، الواقدي: ج٢، ص٦٧٤.

(٣) السيرة النبوية، ابن كثير: ج٣، ص٤٧٠.

# غزوة خيبر

قبل أن نخوض في أحداث خيبر لابد لنا أولاً أن نتكلم بإيجاز عن خصائص النبي الكريمﷺ وعجائبه الكثيرة، والتي منها أنهﷺاستطاع أن ينشئ أمة كبيرة، وكذلك أنشأ أكبر مد حضاري في تاريخ البشرية، كل ذلك في مقطع زمني قصير لم يتجاوز العقد الواحد، كما لم يكن في هذه النهضة المباركة سوى ست مئة من الشهداء في الغزوات والسرايا التي خاضها ضد الأعداء، ومن جملة الأعداء الذين كانوا يكيدون للإسلام وأهله، ويتحينون الفرص لذلك هم اليهود، فهم -كانوا ولا زالوا- يمثلون مركز التآمر على الدين الإسلامي وأهله، فكان لهم الدور الكبير في تجييش الأحزاب وغيرها.

وعندما عقد النبيﷺ صلح الحديبية مع قريش، ذلك الفتح المبين كما عبر عنه القران، وأمن جهة قريش، عزمﷺ على استئصال الخطر اليهودي، وتوجه نحو خيبر لفتح حصونها، والقضاء على وكر التآمر. وعندما أمرﷺ بالخروج واستنفر الذين شهدوا معه الحديبية، جاءه المتخلفون عن الحديبية فقالﷺ: (لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد، فأما الغنيمة فلا، ثم أمر منادياً ينادي بذلك)[1].

لذا فإن غزوة خيبر لها أهمية من بين غزوات النبيﷺ ففيها هزمﷺ

---

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظمﷺ ، السيد جعفر مرتضى العاملي: ج١٧، ص٧٢.

يهود خيبر، وقوّض مركز التآمر على دينه وحكومته الجديدة.

## تاريخ مدينة خيبر:

خيبر: الموضع المذكور في غزاة النبيﷺوهي ناحية على ثمانية بُرُد من المدينة لمن يريد الشام، وتشتمل على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير، وأسماء حصونها: حصن ناعم، والقموص حصن أبي الحقيق، وحصن الشق، وحصن النطاة، وحصن السلالم، وحصن الوطيح، وحصن الكتيبة، وأما لفظ خيبر فهو بلسان اليهود: الحصن، ولكون هذه البقعة تشتمل على هذه الحصون سميت خيابر[١].

هاجر اليهود بعد المسيحعليه السلام إلى الجزيرة ينتظرون النبي الموعودﷺ، ونزلوا في مواضع منها تيماء ووادي القرى وخيبر وحول المدينة، وكان في خيبر أودية فيها بعض العيون، فسكن فيها اليهود وزرعوها، ونجحت فيها زراعة النخيل، واشتهر تمرها بعد هجر، ولعل كلمة خيبر التي سموها بها نفس كلمة كيبوتس بمعنى مستوطنة أو قرية، وكان يهود خيبر عندما بُعث النبيﷺ نحو عشرة آلاف نسمة، ومقاتلوهم بضعة آلاف، وروي أنهم أربعة عشر ألفاً، ثم انضم إليهم كثير ممن أجلاهم النبيﷺ من يهود قينقاع والنضير وقريظة، ومنهم حاخامات وزعماء كبار رأَّسَهم أهل خيبر عليهم، مثل حي بن أخطب الذي ذهب إلى مكة لحث قريش وقبائل العرب على حرب النبيﷺ، ووعد قبائل نجد بموسم تمر خيبر !

---

(١) معجم البلدان، الحموي: ج٢، ص ٤٠٩.

## تاريخ غزوة خيبر:

جاء في الصحيح من السيرة: (لما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة من الحديبية، وذلك في ذي الحجة - كما قال ابن إسحاق - من سنة ٦ للهجرة، مكث بها عشرين ليلة، أو قريباً منها، ثم خرج في المحرم إلى خيبر سنة ٧ للهجرة، وكان الله عز وجل وعده إياها، وهو بالحديبية، فقد نزلت عليه سورة الفتح، فيما بين مكة والمدينة، وفيها قوله تعالى: ﴿**وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ**﴾[١]. [٢] يعني خيبر.

## وصول النبي ﷺ إلى خيبر:

وكان أهل خيبر يتوقعون وصول النبي ﷺ من جهة معينة، لكنه فاجأهم فجاء من جهة لا يتوقعون مجيئه منها- أي من جهة الشام-، فرآه بعض المزارعين فقالوا: (محمد والخميس وأدبروا هرباً ! فقال ﷺ ورفع يديه: الله أكبر، خربت خيبر ! إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين)[٣].

كما قالها ﷺ عند محاصرة بني قريظة، وعسكر ﷺ بأصحابه قرب حصن ناعم وقال لهم: (قفوا، فوقفوا، فقال: (اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذرين، فإنَّا نسألك من خير هذه القرية وخير أهلها، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها، أقدموا باسم الله)[٤].

---

(١) سورة الفتح: آية ٢٠.

(٢) الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ، السيد جعفر مرتضى العاملي: ج١٧، ص٧٣.

(٣) الإرشاد، الشيخ المفيد: ج١، ص٤١٣.

(٤) الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ، السيد جعفر مرتضى العاملي: ج١٧، ص١٠٣.

وقد فتح الإمام علي عليه السلام كل حصون خيبر، وخيبر ثلاث مناطق: النَّطَاهْ، وفيها ثلاثة حصون: حصن ناعم، وحصن الصعب، وحصن قلة. وتتصل بها منطقة الشق وفيها حصن أبيّ، وحصن البرئ، وعلى بعد كيلو مترات منها منطقة الكتيبة، وفيها واد فيه أربعون ألف نخلة وعلى جبلها ثلاثة حصون: حصن القموص، والسلالم، والوطيح، وقد استغرق فتح خيبر كلها وترتيب أمرها نحو شهرين.

وبدأ النبي صلى الله عليه وآله بحصن ناعم في النطاة، ففتحه بعد بضعة أيام، ثم حاصر حصن الصعب أياماً، ثم فتح بقية الحصون في مدة قليلة، ثم ترك علياً عليه السلام في منطقة النطاة والشق، واتجه إلى الكتيبة فحاصر حصنها (القموص) وهو حصن خيبر الأكبر، وطالت محاصرته له بضعة وعشرين يوماً! وكان يرسل جيشه كل يوم بقيادة صحابي، فيصلون إلى خندق الحصن فيرميهم اليهود من أبراجه بالسهام والأحجار، فيرمونهم هم، ويرجعون! ثم تجرأ مرحب وفرسانه فأخذوا يخرجون من الحصن ويتحدون المسلمين أن يعبروا إليهم، فلا يجرؤ أحد منهم عبور الخندق، بل كانوا يرجعون منهزمين حتى أحضر النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام! وروت مصادرنا أن فتح حصون خيبر كلها كان بيد علي صلى الله عليه وآله، وروى نحو ذلك في السيرة الحلبية[١]، والعظيم آبادي في عون المعبود[٢]، قال: (وقصة فتح هذه الحصون: أن النبي صلى الله عليه وآله ألبس علياً عليه السلام درعه الحديد وأعطاه الراية، ووجهه إلى الحصن، فلما انتهى علي عليه السلام إلى باب الحصن، اجتذب أحد أبوابه فألقاه بالأرض، ففتح الله ذلك الحصن على يده عليه السلام).

(١) السيرة الحلبية، الحلبي: ج٢، ص٧٣٧.

(٢) عون المعبود، آبادي: ج٨، ص١٧٢.

وفي رسائل المرتضى[١]: (روى أبو سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وآله أرسل عمر إلى خيبر فانهزم هو ومن معه، حتى جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يجبن أصحابه ويجبنونه، فبلغ ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله كل مبلغ، فبات ليلته مهموماً فلما أصبح خرج إلى الناس ومعه الراية فقال: لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه! فتعرض لها المهاجرون والأنصار، ثم قال: أين علي؟ فقالوا: يا رسول الله هو أرمد، فبعث إليه سلمان وأبا ذر، فجاءا به وهو يقاد لا يقدر على فتح عينيه، فقال صلى الله عليه وآله: اللهم أذهب عنه الرمد وانصره على عدوه، فإنه عبدك يحبك ويحب رسولك، ثم دفع إليه الراية، فقال حسان بن ثابت: يا رسول الله أتأذن لي أن أقول فيه شعراً؟ فأذن له فقال:

**وكـانَ عَـلِيٌّ أرْمَـدَ العَيْنِ يَبْتَغِي * دَواءً فـلـمّا لَمْ يُحِـسَّ مُـداويـا**
**شَـفـاه رسـولُ الله مُـنْـهُ بَتفْلَة * فَـبُـورِكَ مَـرْقِـيّـاً وبُـورِكَ راقِيا**
**وقال سأُعْطِي الرّايةَ اليومَ صارِماً * كَمِيّاً مُحَبّـاً لِـلـرَّسُـوُلِ مُوالِيا**
**يُحِـبُّ إلهـي والإلـهُ يُحِـبُّـهُ * بِه يَفْتَحِ اللهُ الحُصُونَ الأوابيا**
**فَأَصْفَى بِهـا دُونَ الـبَرِيَّـةِ كُلِّها * عَلِيّاً وسَـمّاهُ الـوَزِيـرَ المُؤاخِيا**

فقال: إن علياً عليه السلام لم يجد بعد ذلك أذى في عينيه.

قال ابن شهر آشوب: عن البخاري ومسلم أنه قال: (لما قال النبي صلى الله عليه وآله حديث الراية بات الناس يذكرون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الصبح غدوا على رسول الله كلهم يرجو أن يعطاها فقال أين علي بن أبي طالب فقالوا هو يشتكي عينيه فقال فأرسلوا إليه فأتي به فتفل النبي في عينيه ودعا له فبرأ

---

(١) رسائل، السيد المرتضى: ج٤، ص١٠٤.

فأعطاه الراية [وكانت راية بيضاء] فقال: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، قال: على رسلك انفذ حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم فيه من الحق، فوالله لئن يهدي الله بك الرجل الواحد خير لك من حمر النعم)[١].

## بغض وحسد:

في رواية ابن جرير ومحمد بن إسحاق: فغدت قريش يقول بعضهم لبعض أما علي فقد كفيتموه فإنه أرمد لا يبصر موضع قدمه فلما أصبح قال ادعوا لي عليا فقالوا به رمد فقال أرسلوا إليه وادعوه، فجاء وعينه معصوبة بخرقة برد قطري.

## دعاء النبي صلى الله عليه وآله:

قال المجلسي في بحاره: (روي أنه صلى الله عليه وآله قد قال لعلي عليه السلام: خذ الراية، وامض بها فجبرئيل معك، والنصر أمامك، والرعب مبثوث في قلوب القوم... واعلم يا علي، أنهم يجدون في كتابهم: أن الذي يدمر عليهم اسمه (إيليا)، فإذا لقيتهم فقل: أنا علي، فإنهم يُخذلون إن شاء الله تعالى)[٢].

## متى رمدت عينا علي عليه السلام؟

قال الشيخ المفيد: (كانت الراية يومئذٍ - أي: في خيبر - لأمير المؤمنين عليه السلام، فلحقه رمد أعجزه عن الحرب)[٣]، أي: إن هذا الرمد قد عرض له

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج٢، ص٣١٨.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٤١، ص٨٥.

(٣) الارشاد، الشيخ المفيد: ج١، ص١٢٥.

بعد أن تسلم الراية، وأنه كان قد طرأ عليه ولم يدم الا برهة قصيرة.

والجدير بالذكر أن أمير المؤمنين عليه السلام وصل الحصن قبل جيش المسلمين، بل أنه عليه السلام قد فتح الحصن قبل أن يلحق آخر الناس بأولهم، كما صرحت به بعض الروايات، وفي نص آخر: روي عن عبد الله بن عمر، قال: (فلا والله ما تتامت الخيل حتى فتحها الله عليه)[1].

وجاء في كتب الحديث: (لما كان يوم خيبر خرج رجل من اليهود يقال له مرحب، وكان طويل القامة عظيم الهامة، وكانت اليهود تقدمه لشجاعته ويساره، قال: فخرج في ذلك اليوم إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فما واقفه قرن إلا قال: أنا مرحب، ثم حمل عليه فلم يثبت له، قال: وكانت له ظئر، وكانت كاهنة، وكانت تعجب بشبابه وعظم خلقته، وكانت تقول له: قاتل كل من قاتلك وغالب كل من غالبك إلا من تسمى عليك بحيدرة، فإنك إن وقفت له هلكت، قال: فلما كثر مناوشته، وبعل الناس بمقامه شكوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وآله وسألوه أن يخرج إليه علياً عليه السلام، فدعا النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام، وقال له: يا علي اكفني مرحباً، فخرج إليه أمير المؤمنين عليه السلام، بها يهرول هرولة حتى ركز رايته في رضخ من حجارة تحت الحصن [وهو حصن القموص وهو من أعظم حصون اليهود] فاطلع إليه يهودي فقال من أنت؟ فقال أنا علي بن أبي طالب، فقال اليهودي غلبتم وما أنزل على موسى، فخرج يهرول هرولة وسعد يقول يا أبا الحسن أربع يلحق بك الناس فخرج إليه مرحب في عامة اليهود وعليه مغفر وحجر قد ثقبه مثل البيضة على أم رأسه وهو يرتجز ويقول:

**قد علمت خيبر أني مرحب * شاك السلاح بطل مجرب**

(١) مجمع الزوائد، الهيثمي: ج٩، ص١٢٣.

**أطعـن أحيانـا وحينـا اضـــرب * إذا الليــــوث أقبلـــت تلتهـــب**

فقال علي عليه السلام:

**أنـا الـذي سـمتني أمـي حيـدرة * ضرغـام آجـــام وليـث قسـورة**
**عـلى الأعـادي مثـل ريـح صرصرة * أكيلكـم بالسـيف كيـل السـندرة**
**أضرب بالسيف رقاب الكفرة**

فلما سمعها منه مرحب هرب ولم يقف خوفا مما حذرته منه ظئره، فتمثل له إبليس في صورة حبر من أحبار اليهود، فقال: إلى أين يا مرحب؟ فقال: قد تسمى علي هذا القرن بحيدرة، فقال له إبليس: فما حيدرة؟ فقال: إن فلانة ظئري كانت تحذرني من مبارزة رجل اسمه حيدرة، وتقول: إنه قاتلك، فقال له إبليس: شوها لك، لو لم يكن حيدرة إلا هذا وحده لما كان مثلك يرجع عن مثله، تأخذ بقول النساء وهن يخطئن أكثر مما يصبن، وحيدرة في الدنيا كثير، فارجع فلعلك تقتله، فإن قتلته سدت قومك وأنا في ظهرك استصرخ اليهود لك، فرده فوالله ما كان إلا كفواق ناقة حتى ضربه علي عليه السلام ضربة سقط منها لوجهه وانهزم اليهود وهم يقولون: قتل مرحب، قتل مرحب)[1].

## سؤال عمر:

أورد المجلسي في بحاره: (أن عمر سأل علياً عليه السلام قال: يا أبا الحسن، لقد اقتلعت منيعاً، وأنت ثلاثة أيام خميصاً، فهل قلعتها بقوة بشرية؟! فقال عليه السلام: ما قلعتها بقوة بشرية، ولكن قلعتها بقوة إلهية، ونفس بلقاء ربها مطمئنة

---

(١) راجع الأمالي، الشيخ الطوسي: ص٣، الخرائج والجرائح، الراوندي: ج١، ص٢١٨، مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج٢، ص٣١٨، بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٢١، ص٩.

رضية)[١].

## أوسمة وصفات إلهية:

الملاحظ في هذه الغزوة أن النبي صلى الله عليه وآله قد منح الإمام عليا عليه السلام أوسمة وأوصاف عظيمة، لم يصل اليها ولا يستحقها أحد غيره عليه السلام، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن بعض هذه الأوصاف تستبطن تعريضا وتقبيحا بمن أخذ الراية ثم انهزم هو ومن معه، بل أكثر من ذلك فإن النبي صلى الله عليه وآله قد أوضح أنهم كانوا يحملون صفات مناقضة للصفات التي أطلقها النبي صلى الله عليه وآله، فعندما يقول صلى الله عليه وآله ويصف الإمام علي عليه السلام بأنه (يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله)، فهذه كلمة عظيمة من عظيم بحق عظيم، لكن لايعرفها إلا من جرد نفسه عن العصبية والنزعات الشيطانية، كما أنها إشارة إلى أن غيره لم يكن كذلك وساحة القتال والجهاد تشهد لهذا، فإن من يتصف بهذه الصفة لا يؤثر النجاة على الشهادة في سبيل إعلاء كلمة الحق، ولا يرتكب الفرار من الزحف الذي هو من المحرمات العظيمة، وهناك من الشواهد التي توضح ذلك جليا دون لبس من خلال ما نقلته المصادر الإسلامية، فقد نقل البخاري في صحيحه[٢] وكذلك أحمد في مسنده[٣] وغيرهما واللفظ للأول: (عن زهرة بن معبد عن جده قال كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال -عمر- والله لانت يا رسول الله أحب إليّ من كل شيء إلا نفسي فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا يؤمن أحدكم حتى أكون عنده أحب إليه من نفسه، فقال عمر: فلانت الآن والله

---

(١) بحار الانوار، العلامة المجلسي: ج٢١، ص٤٠.

(٢) صحيح البخاري، البخاري: ج٧، ص٢١٨.

(٣) مسند أحمد، ابن حنبل: ج٤، ص٢٣٣.

أحب إليّ من نفسي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الآن يا عمر!!. وهنا لا بد أن نتذكر قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾[1].

## كرار غير فرار:

وهذا وسام آخر نطق به سيد الكائنات صلى الله عليه وآله ليوضح أن صفة الكر في الحروب إضافة الى أن الامام عليه السلام يتحلى بها فهي أصبحت لتكرارها عنده عليه السلام من الملكات، بخلاف غيره ممن تقدم براية المسلمين فإنه لم يكن منهزما وفارا في تلك الغزوة فقط بل أصبح الفرار طبعا له بل من ملكاته، فحالهما كما قال أبو الطيب:

**أرى كلنا يبغي الحياة لنفسه حريصا عليها مستهاما بها صبا**
**فحب الجبان النفس أورده البقا وحب الشجاع النفس أورده الحربا**

## خصائص علوية على لسان النبي صلى الله عليه وآله:

قال الإمام علي عليه السلام: (قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتحت خيبر: لولا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت اليوم فيك مقالا لا تمر على ملأ من المسلمين إلا أخذوا من تراب رجليك وفضل طهورك يستشفون به، ولكن حسبك أن تكون مني وأنا منك ترثني وأرثك،

---

(١) سورة التوبة: آية ٢٤.

وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي...)[١].

**النصر الإلهي**:

قال الشيخ الطبرسي: قال أبان: حدثني زرارة قال: قال الباقر عليه السلام: (وخرج البشير إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أن علياً دخل الحصن، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج علي عليه السلام يتلقاه، فقال صلى الله عليه وآله: قد بلغني نبأك المشكور وصنيعك المذكور، قد رضي الله عنك ورضيت أنا عنك، فبكى علي عليه السلام فقال له: ما يبكيك يا علي؟ فقال: فرحاً بأن الله ورسوله صلى الله عليه وآله عني راضيان)[٢].

**رحمة وتكريم**:

قال الإمام الباقر عليه السلام: (...وأخذ علي فيمن أخذ صفية بنت حيي، فدعا بلالا فدفعها إليه وقال له: (لا تضعها إلا في يدي رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يرى فيها رأيه، فأخرجها بلال ومر بها إلى رسول الله على القتلى، وقد كادت تذهب روحها فقال صلى الله عليه وآله لبلال: أنزعت منك الرحمة يا بلال؟! ثم اصطفاها صلى الله عليه وآله لنفسه، ثم أعتقها وتزوجها)[٣].

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٣٨، ص٢٤٧.

(٢) إعلام الورى بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسي: ج١، ص٢٠٨.

(٣) المصدر السابق.

## الخاتمة:

نقل العلامة المجلسي: (إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما ظهر على أهل خيبر صالحهم على أن يخرجوا بأنفسهم وأهليهم، وللنبي صلى الله عليه وآله الصفراء والبيضاء، والحلقة، والسلاح، ويخرجهم، وشرطوا للنبي صلى الله عليه وآله أن لا يكتموه شيئاً، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد، فلما وجد المال الذي غيبوه في مسك الجمال سبى نساءهم وغلب على الأرض والنخل ودفعها إليهم على الشطر...)[١].

## إستسلام اليهود:

قال السيد الطباطبائي: (وأرسل ابن أبي الحقيق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أنزل فأكلمك؟ قال: نعم، فنزل وصالح رسول الله صلى الله عليه وآله على حقن دماء من في حصونهم من المقاتلة وترك الذرية لهم، ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم ويخلون بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين ما كان لهم من مال وأرض على الصفراء والبيضاء والكراع والخلقة وعلى البز إلا ثوبا على ظهر إنسان، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله فبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كتمتموني شيئا فصالحوه على ذلك، فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يسألونه أن يسيرهم ويحقن دماءهم ويخلون بينه وبين الأموال ففعل، فكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب)[٢].

وبهذا تم فتح كل حصون اليهود، عدا الوطيح والسلالم فإنهما فتحا

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٢١، ص٣٢.

(٢) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي: ج١٨، ص٢٩٧.

بالصلح فكانا ملكا خالصا للنبي صلى الله عليه وآله[١].

### سرور و فرح:

قال النويري: (لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وآله خيبر قدم عليه جعفر بن أبي طالب عليه السلام من أرض الحبشة ومن كان بقي بها من المسلمين، فقبّله رسول الله صلى الله عليه وآله بين عينيه والتزمه، وقال: (ما أدري بأيهما أنا أسرّ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر)!![٢].

### رد الشمس:

ذكر ابن شهر آشوب[٣]: أنه روي أن الشمس ردت لأمير المؤمنين عليه السلام في مواضع كثيرة منها بالصهباء في غزوة خيبر، قال ابن حماد:

**والشمس قد ردت عليه بخيبر * وقد انبدت زهر الكواكب تطلع**

**وببابل ردت عليه ولم يكن * والله خير من علي يوشع**

وقال العوني:

**ولا تنس يوم الشمس إذ رجعت له * بمنتشر وار من النور مقنع**

**كذلك بالصهباء وقد رجعت له * ببابل أيضا رجعة المتطوع**

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، السيد جعفر مرتضى العاملي: ج١٧، ص٧٠.

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري: ج١٧، ص٢٥٩.

(٣) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج٢، ص١٤٣.

# غزوة حُنَيْن

ما إن فتح الله على يد رسوله الكريم محمدﷺ مكة، و هو بعدُ لم يمكُث فيها إلا خمسة عشر يوماً حتى بلغه أن هوازن - قبيلة من قيس، تنس ب إلى زعيمها هَوَازِن بن منصور بن عكرمة - و ثقيف قد جمعت بحُنين جمعاً كثيراً و رئيسهم مالك بن عوف النصري يريدون مقاتلة المسلمين، فعزم النبيﷺ على الخروج إليهم، فخرج إليهم في يوم الأحد النصف من شهر شوال ٢ عام الفتح أي العام الثامن بعد الهجرة.

## لماذا سميت هذه الغزوة بحُنَيْن؟

أما سبب تسمية هذه الغزوة بغزوة حنين فيعود إلى أن الكثير من الغزوات والحروب سميت بأسماء الأمكنة والبقاع التي دارت عليها المعارك والحروب، ومنها هذه الغزوة، وحنين وادٍ بين مكة والطائف، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً، إلى جنب ذي المجاز[١]، دارت عليها رحى الحرب في هذه الغزوة.

استعدّ النبيﷺ لهذه الغزوة، فأخذ من صفوان بن أمية مائة درع، وقال عارية مضمونة، وخرج في جيش عظيم قوامه اثنا عشر ألفاً، عشرة آلاف من

(١) سبل الهدى والرشاد، الصالحي الهاشمي: ج٧، ص٢٢٩، ومعجم البلدان، الحموي: ج٢، ص٣١٣، وغيرهما.

أصحابه الذين فتح بهم مكة، وألفان من أهل مكة ممن أسلم طوعاً أو كرهاً .

أما بعض المسلمين فقد أخذه العُجب لماّ رأى هذا الجيش العظيم، فأعجبت المسلمين كثرتهم، وقال بعضهم: ما نؤتي من قلة، فكَرِه رسول الله ﷺ ذلك من قولهم، وإلى هذا يُشير الله عَزَّ وجَلَّ في قوله: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ**﴾[1] .

## كيف بدأ القتال وكيف انتهى؟

كانت هوازن قد كَمِنت في الوادي واستقرت فيه قبل طلوع الفجر، واستعدت بما لديها من القوة والعتاد لمفاجأة المسلمين ومواجهتهم على حين غفلة ومن حيث لا يتوقعون.

أما النبي ﷺ فقد ركب بغلته البيضاء التي يقال لها دلدل، واستعد لقتال المشركين، وانحدر المسلمون نحو وادي حنين، فخرجت هوازن وثقيف من مخابئها وأحاطوا بالمسلمين دفعة واحدة وهم يرمونهم بالسهام ويرشقونهم بالحجارة ويحملون عليهم من جميع الجهات، فكان يوماً عظيم الخطب، وانهزم المسلمون عن رسول الله ﷺ، فلم يبق مع الرسول ﷺ إلا نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته عليهم السلام، حتى بقي في عشرة من بني هاشم، وقيل تسعة، منهم علي بن أبي طالب عليه السلام، والعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه[2] .

وأبدى بعض قريش -رغم كونهم في جيش المسلمين- ما كان في نفسه، فقال أبو سفيان: لا تنتهي والله هزيمتهم دون البحر، وقال كلدة بن

(١) سورة التوبة: آية٢٥.

(٢) تاريخ الطبري، الطبري: ج٣، ص٧٤.

حنبل: اليوم بطل السحر، وقال شيبة بن عثمان: اليوم أقتل محمداً، وقصد النبيَ ليقتله، فأخذ النبيﷺ الحربة منه فأشعرها فؤاده[١].

وفرّ المسلمون وظهرت بوادر الهزيمة، إلا أن الرسولﷺ قال للعباس: صِح يا للأنصار، وصِح يا أهل بيعة الرضوان، وصِح يا أصحاب سورة البقرة، يا أصحاب السمرة.

وكان النبيﷺ ينادي: (أين أيها الناس هلمّ إليّ أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله)[٢].

وكانﷺ ينادي المسلمين ويقول: (يا أنصار الله وأنصار رسوله، أنا عبد الله ورسوله).

وهكذا تمكّن الرسولﷺ من بثّ روح الجهاد في نفوس المسلمين من جديد، وقد كان أصابهم الخوف والذعر وأوشكوا على الفرار الكامل وتسجيل الهزيمة النكراء، فاجتمع المسلمون ثانية وهجموا هجمة واحدة على المشركين، ومضى علي بن أبي طالبعليه السلام إلى صاحب راية هوازن فقتله، وبعد مقتله كانت الهزيمة للمشركين.

وهكذا كتب الله النصر لرسوله الكريم ونصرهم بجنود من الملائكة، وإلى هذا النصر يشير القرآن الكريم: **﴿ثُمَّ أَنَزلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ﴾**[٣].

---

(١) تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي: ج٢، ص٦٢.

(٢) تاريخ الطبري، الطبري: ج٣، ص٧٤.

(٣) سورة التوبة: آية٢٦.

## عدد القتلى والشهداء:

قتل من هوازن في ذلك اليوم خلق عظيم، وقتل دريد بن الصمة فأعظم الناس ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إلى النار و بئس المصير، إمام من أئمة الكفر، إن لم يُعِنْ بيده فإنه أعان برأيه).

واستشهد في ذلك اليوم من المسلمين أربعة نفر هم:

١ . أيمن بن عبيد، من بني هاشم وهو ابن أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله.

٢ . يزيد بن زمعة بن الأسود، من بني أسد.

٣. سراقة بن الحارث بن عدي، من الأنصار.

٤ . أبو عامر الأشعري، من الأشعريين.

وسبى المسلمون من المشركين في ذلك اليوم سبايا كثيرة، بلغت عدّتهم ألف فارس، وبلغت الغنائم أثنى عشر ألف ناقة سوى الأسلاب.

ثم جمعت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله سبايا حنين وأموالها، وكان على المغانم مسعود بن عمرو القاري، فأمر النبي صلى الله عليه وآله بالسبايا والأموال إلى الجعرانة فحُبست بها، ثم توجّه صلى الله عليه وآله إلى الطائف.

وبعدما رجع النبي صلى الله عليه وآله من غزوة الطائف، نزل بالجعرانة فقَدِمت عليه وفود هوازن وقد أسلموا، ثم أعتنق أبناؤهم ونساؤهم الإسلام كلهم[١].

ثم أهلّ النبي صلى الله عليه وآله بالعمرة من الجُعرانة، وذلك في ذي القعدة .

---

(١) تاريخ الطبري، الطبري: ج٣، ص٨١.

# غزوة تبوك

## موقع تبوك:

تبوك هي أقصى موضع بلغه رسول الله صلى الله عليه وآله في غزواته، وهي في طرف الشام من جهة القبلة، وبينها وبين المدينة المشرَّفة اثنتا عشرة مرحلة[1]، وتبعد تبوك عن المدينة سبع مئة كيلو متر، وهي الآن مدينة قرب الحدود السعودية الأردنية، وتبعد عن عَمّان أربع مئة وخمسين كيلو متراً، وعن الشام نحو ذلك، وقد أقام النبي صلى الله عليه وآله في تبوك نحو عشرين يوماً وأرسل إلى هرقل رسالة أو أكثر وتلقى جوابها[2].

## تاريخ الغزوة ومدتها:

كانت غزوة تبوك في ٣ رجب سنة ٩هـ قبل حجة الوداع، وكانت أول غزواته صلى الله عليه وآله بدر، وآخرها غزوة تبوك قبيل وفاته صلى الله عليه وآله، واستغرقت ثمانين يوماً ولم يقع فيها حرب، لأن الروم انسحبوا من تبوك عندما توجه إليهم، ووقع الأكيدر ملك الدومة في الأسر، فكتب النبي صلى الله عليه وآله معه صلحاً.

---

(١) معجم البلدان، الحموي: ج٢، ص١٥ وكتاب العين، الخليل الفراهيدي: ج٥، ص ٣٤٢.

(٢) جواهر التاريخ، الشيخ الكوراني: ج٣، ص١٠٢.

## سبب الغزوة:

في السنة التاسعة للهجرة بلغ النبي صلى الله عليه وآله أن الدولة الرومية تستعد لغزو البلاد الإسلامية، فاستنفر صلى الله عليه وآله المسلمين في المدينة المنورة وخارجها، فاستجاب له المسلمون آنذاك إلا المنافقين ومن أظهر الإسلام خوفاً لا إيماناً، كبعض الذين أسلموا في فتح مكة ممن سمّاهم النبي صلى الله عليه وآله الطلقاء، فإنهم تخلفوا عنه صلى الله عليه وآله، وكان شعار المسلمين في معركة تبوك (يا أحد يا صمد)(١).

## لماذا تخلّف الإمام علي عليه السلام:

كان النبي صلى الله عليه وآله يصطحب المنافقين معه عند خروجه الى الحرب وذلك لإفشال مؤامراتهم ورد كيدهم، ولمّا تخلف المنافقون عن الخروج إلى غزوة تبوك ولّد هذا الشيء عند النبي صلى الله عليه وآله الشعور بأن تخلفهم يحمل في طياته خطرا جسيما، لذا اضطر صلى الله عليه وآله إلى إبقاء خليفته ووصيه ومن هو بمنزلة هارون من موسى منه في المدينة.

## من وحي حديث المنزلة:

من الأمور المهمة التي ارتبطت بغزوة تبوك حديث المنزلة وهو قول النبي صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام، أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وهذا الحديث فيه من الدلالة الواضحة على تنصيب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام خليفة ووصيا وقائدا للأمة الإسلامية بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله، فدلالته واضحة (بأن لأمير المؤمنين عليه السلام جميع منازل هارون من موسى إلا منزلة النبوة، واستثناء النبوة دليل العموم لجميع المنازل، ومن الواضح:

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، السيد جعفر مرتضى العاملي: ج٢٢، ص١٠٥.

أن أظهر خصوصية كانت بين هارون وموسى هي أخوّته له، وشد أزره، ووجوب طاعته، ووزارته، وشراكته في أمره، وكونه أولى الناس به حياً وميتاً، حسبما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿**وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي* هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**﴾[(١)]، فلا بد أن يراد بكونه بمنزلته هو هذه الخصوصيات، ولا سيما هاتان الخصوصيتان)[(٢)].

وقد يقول قائل: إن حديث المنزلة خاص بفترة تبوك ولا ربط له بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله. ويمكن الإجابة على ذلك بأنه إذا كان هذا المعنى المراد من الحديث فهذا يؤدي إلى التناقض في حديثه صلى الله عليه وآله وحاشا أن يكون كذلك، فإذا كان يريد هذا المعنى فقط فكان عليه أن يقول(إلا انه لا نبي معي) ولا يقول(انه لا نبي بعدي)، هذا أولا، وثانيا، نجد أن النبي صلى الله عليه وآله استخلف على المدينة عدة من الأشخاص عند خروجه في غزواته كغزوة الفتح وخيبر وبدر وغيرها، فلم يجعل لهم هذه المنزلة التي جعلها للإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

## لماذا هذا الوقت:

لعل اختيار النبي صلى الله عليه وآله وقت هذه الغزوة له عدة دلالات، والتي منها: اختبار الصحابة، وإظهار كوامن النفوس، وفضح النوايا الخبيثة لشريحة من المنافقين الذين يتربصون بالإسلام وبالمسلمين شرا.

قال العاملي في الصحيح من السيرة: لعل الأصح هو أنه صلى الله عليه وآله قد أراد فيما أراد: أن يفضح حقيقة نوايا تلك الطغمة التي تتربص بالإسلام وبالمسلمين

---

(١) سورة طه: آية٢٩- ٣٢.

(٢) الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، السيد جعفر مرتضى العاملي: ج٢٩، ص٢٧٠.

شراً، وهذا ما أشار إليه الشيخ المفيد حيث قال عن تبوك: (فأوحى الله تبارك وتعالى اسمه إلى نبيه ﷺ: أن يسير إليها بنفسه، ويستنفر الناس للخروج معه، وأعلمه أنه لا يحتاج فيها إلى حرب، ولا يمنى بقتال عدو، وأن الأمور تنقاد له بغير سيف، وتعبَّده بامتحان أصحابه بالخروج معه واختبارهم، ليتميزوا بذلك، وتظهر به سرائرهم، فاستنفرهم النبي ﷺ إلى بلاد الروم، وقد أينعت ثمارهم، واشتد القيظ عليهم، فأبطأ أكثرهم عن طاعته، رغبة في العاجل، وحرصاً على المعيشة وإصلاحها، وخوفاً من شدة القيظ، وبعد المسافة، ولقاء العدو، ثم نهض بعضهم على استثقال للنهوض، وتخلف آخرون...)[1].

## يمكرون ولكن...!:

جاء في الصحيح من السيرة للعاملي: (قال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: ولقد اتخذ المنافقون من أمة محمد ﷺ وبعد انطلاق محمد ﷺ إلى تبوك، أبا عامر الراهب أميراً ورئيساً، وبايعوا له، وتواطأوا على إنهاب المدينة، وسبي ذراري رسول الله ﷺ وسائر أهله وصحابته، ودبروا التبييت على محمد، ليقتلوه في طريقه إلى تبوك، فأحسن الله الدفاع عن محمد ﷺ، وفضح المنافقين وأخزاهم، وذلك أن رسول الله ﷺ قال: (لتسلكن سبل من كان قبلكم، حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضبّ لدخلتموه) قالوا: يا ابن رسول الله...، وماذا كان هذا التدبير؟! فقال عليه السلام: اعلموا أن رسول الله ﷺ كان يأتيه الأخبار عن صاحب دومة الجندل، وكان ملك تلك النواحي، له مملكة عظيمة مما يلي الشام، وكان يهدد رسول الله ﷺ بأنه يقصده، ويقتل أصحابه، ويبيد خضراءهم، وأكثَر

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ، السيد جعفر مرتضى العاملي: ج٢٩، ص١٣٩.

المنافقون الأراجيف والأكاذيب، وجعلوا يتخللون أصحاب محمد ﷺ، ويقولون: إن أكيدر قد أعد من الرجال كذا، ومن الكراع كذا، ومن المال كذا، حتى آذى ذلك قلوب المؤمنين، فشكوا إلى رسول الله ﷺ ما هم عليه من الخدع، ثم إن المنافقين اتفقوا، وبايعوا أبا عامر الراهب الذي سماه رسول الله ﷺ الفاسق، وجعلوه أميراً عليهم، وبخعوا له بالطاعة، فقال لهم: الرأي أن أغيب عن المدينة، لئلا أتهم بتدبيركم، وكاتبوا أكيدر في دومة الجندل، ليقصد المدينة، ليكونوا هم عليه، وهو يقصدهم فيصطلموه، فأوحى الله إلى محمد ﷺ، وعرَّفه ما اجتمعوا عليه من أمرهم، وأمره بالمسير إلى تبوك، وكان رسول الله ﷺ إذا أراد غزواً ورَّى بغيره إلا غزاة تبوك، فإنه أظهر ما كان يريده، وأمرهم أن يتزودوا لها، وهي الغزاة التي افتضح فيها المنافقون، وذمهم الله تعالى في تثبيطهم عنها، وأظهر رسول الله ﷺ ما أوحي إليه أن (الله) سيظفره بأكيدر، حتى يأخذه ويصالحه. فقال لهم رسول الله ﷺ: (إن موسى وعد قومه أربعين ليلة، وإني أعدكم ثمانين ليلة، ثم أرجع سالماً غانماً، ظافراً بلا حرب يكون، ولا أحد يستأسر من المؤمنين)، واستأذنه المنافقون بعلل ذكروها: بعضهم يعتلّ بالحر، وبعضهم بمرض يجده، وبعضهم بمرض عياله، وكان يأذن لهم)[1].

## مسجد الضرار:

لما صح عزم رسول الله ﷺ على الرحلة إلى تبوك عمد هؤلاء المنافقون فبنوا مسجداً خارج المدينة وهو مسجد الضرار، يريدون الاجتماع فيه، ويوهمون أنه للصلاة، وإنما كان ليجتمعوا فيه لعلة الصلاة، فيتم لهم به ما

---

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ، السيد جعفر مرتضى العاملي: ج٣٠، ص١٥٤.

يريدون، ثم جاء جماعة منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا: يا رسول الله إن بيوتنا قاصية عن مسجدك وإنا نكره الصلاة في غير جماعة، ويصعب علينا الحضور، وقد بنينا مسجداً، فإن رأيت أن تقصده تصلي فيه لنتيمَّن ونتبرك بالصلاة في موضع مصلاك، فلم يعرّفهم رسول الله صلى الله عليه وآله ما عرّفه الله من أمرهم ونفاقهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (أنا على جناح سفر، فأمهلوا حتى أرجع إن شاء الله تعالى، ثم أنظر في هذا نظرا يرضاه الله تعالى)، وجدَّ في العزم على الخروج إلى تبوك، وعزم المنافقون على اصطلام مخلّفيهم إذا خرجوا، فأوحى الله تعالى إليه: (يا محمد، إن العلي الأعلى يقرأ عليك السلام ويقول لك: إما أن تخرج أنت ويقيم علي، وإما أن يخرج علي وتقيم أنت)، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ذاك لعلي)، فقال علي عليه السلام: السمع والطاعة لأمر الله وأمر رسوله، وإن كنت أحب أن لا أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حال من الأحوال، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟! فقال: رضيت يا رسول الله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: (يا أبا الحسن! إن لك أجر خروجك معي في مقامك بالمدينة، وإن الله قد جعلك أمة وحدك، كما جعل إبراهيم أمة، تمنع جماعة المنافقين والكفار هيبتك عن الحركة على المسلمين)، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وشيعه علي عليه السلام خاض المنافقون وقالوا: إنما خلفه محمد بالمدينة لبغضه له، وملاله منه، وما أراد بذلك إلا أن يبيته المنافقون فيقتلوه، ويحاربوه فيهلكوه، فاتصل ذلك برسول الله صلى الله عليه وآله، فقال علي عليه السلام: تسمع ما يقولون يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (أما يكفيك أنك جلدة ما بين عيني، ونور بصري، وكالروح في بدني)، ثم سار رسول الله صلى الله عليه وآله بأصحابه، وأقام علي عليه السلام بالمدينة، وكان كلما دبر المنافقون أن يوقعوا بالمسلمين

فزعوا من عليعليه السلام، وخافوا أن يقوم معه عليهم من يدفعهم عن ذلك، وجعلوا يقولون فيما بينهم: هي كرة محمد التي لا يؤوب منها[١].

## الرجوع الى المدينة المنورة:

ثم كرّ رسول الله صلى الله عليه وآله راجعاً إلى المدينة إلى إبطال كيد المنافقين في نصب ذلك العجل الذي هو أبو عامر، الذي سماه النبيصلى الله عليه وآله الفاسق، وعاد رسول اللهصلى الله عليه وآله غانماً ظافراً، وأبطل الله كيد المنافقين، وأمر رسول اللهصلى الله عليه وآله بإحراق مسجد الضرار، وأنزل الله عز وجل: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾[٢].

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظمصلى الله عليه وآله، السيد جعفر مرتضى العاملي: ج٣٠، ص١٥٦.

(٢) سورة التوبة: آية١٠٧.

# معركة الجمل

بعد ثورة المسلمين على عثمان وغضبهم من أسلوب حكمه، اجتمع أهل المدينة، ومَن قَدِم من الأمصار الإسلامية حول بيته، وحاصروه وقتلوه، فقد روى ابن عساكر في كتابه ترجمة الإمام الحسنعليه السلام: (إن أعمال عثمان وإيثاره بني أبيه أغصان الشجرة الملعونة في القرآن، وإستبداده بإيفاء نهمته ونهمة آل أمية من أموال المسلمين، وهتكهم حرمة صفوة المسلمين كعبد الله بن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر، هي التي أوجبت قتل عثمان، ولذا أجمع على قتله عظماء المهاجرين والأنصار، وكان الزبير وطلحة في طليعة المهاجمين عليه الذين حصروه وقطعوا عنه الماء، وكانت عقيرة أم المؤمنين عائشة مرتفعة بقولها: اقتلوا نعثلاً قتله الله)[1].

وقال ابن أعثم الكوفي في كتابه الفتوح: (وقد كان -أي: عثمان- مطروحا على مزبلة ثلاثة أيام حتى ذهبت الكلاب بفرد رجليه)[2].

وقال الطبري في تاريخه: (نُبِذ عثمان ثلاثة أيام لا يدفن... حتى دُفن في (حش كوكب)[3]، فلما ظهر معاوية بن أبي سفيان على الناس أمر بهدم ذلك

---

(١) ترجمة الإمام الحسنعليه السلام، ابن عساكر: ص١٩٧.

(٢) الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي: ص٤٣٦.

(٣) قال الزبيدي في تاج العروس: ج٩، ص٩١: (والحشّ: هو المخرج، أو الموضع الذي يتخلى فيه

الحائط حتى أفضى به إلى البقيع فأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره حتى اتصل ذلك بمقابر المسلمين)[١].

والجدير بالذكر أن (حش كوكب) هو مقبرة لليهود، قال السيد العاملي في كتابه الصحيح من سيرة الامام علي عليه السلام: (إن معاوية حاول أن يتخلص من غائلة دفن عثمان في مقابر اليهود، وفي مكان كان حُشّاً، فارتكب خطأ فاحشاً بإلحاقه مقبرة اليهود والموضع الذي كان حشّاً بمقابر المسلمين ... وبذلك يكون قد كرس ما هو خطأ بنظره بخطأ أكبر وأخطر ... لا سيما وأنه صار يفرض على الناس أن يدفنوا موتاهم في موضع يمنع الشارع من دفن المسلمين فيه من جهتين: إحداهما: أنه حشّ. والأخرى: أنه مقبرة لليهود)[٢].

وأول من سمى عثمان (نعثلا) عائشة، روى ابن أبي الحديد في شرحه: (وهذه عائشة أم المؤمنين، خرجت بقميص رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت للناس: هذا قميص رسول الله لم يُبلَ، وعثمان قد أبلى سنته، ثم تقول: اقتلوا نعثلا، قتل الله نعثلا، ثم لم ترض بذلك حتى قالت: أشهد أن عثمان جيفة على الصراط غدا)[٣]، وبعد قتل عثمان، وهدوء ثورة المسلمين أحسوا بالفراغ السياسي وحتمية وجود إمام ينظم حياتهم ويسوسها بشكل يختلف عما كان عليه عثمان، فلم يجدوا أجدر من أمير المؤمنين عليه السلام لإصلاح أوضاعهم، قال سعيد بن المسيب: لما قُتل عثمان جاء الناس إلى أمير المؤمنين عليه السلام، حتى دخلوا

---

الناس، فإن الناس كانوا يقضون حوائجهم في البساتين، وحش كوكب: بستان بظاهر المدينة خارج البقيع، لرجل اسمه كوكب).

(١) تاريخ الطبري، الطبري: ج٣ ص٤٣

(٢) الصحيح من سيرة الامام علي عليه السلام، السيد جعفر مرتضى العاملي: ج١٩، ص٢٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج٢٠، ص٢٢.

داره، فقالوا: نبايعك، فمُدَّ يدك...فلم يبق أحد من أهل بدر إلا أتى علياًعليه السلام، وقالوا: ما نرى أحداً أحقُّ بها منك، فمُدَّ يدك نبايعك... إلا أن الإمامعليه السلام امتنع واعتذر عن قبول البيعة، حتى هُرِع الناس إليه وتزاحموا عنده، وانثالوا عليه، ولاحقوه من مكان إلى مكان وأصروا على أن يبايعوه، وهوعليه السلام يأبى ذلك طيلة خمسة أيام مضت من قتل عثمان)[1].

وكان جواب أمير المؤمنينعليه السلام لهم كما نقله المتقي الهندي[2]: لا تفعلوا فإني وزيراً لكم خيرٌ لكم مني أميراً، قالوا: والله ما نحن بفاعلين أبداً حتى نبايعك! وتداكُّوا على يده، فلما رأى ذلك قال: إن بيعتي لا تكون في خَلوة إلا في المسجد ظاهراً. فكان أول من بايعه طلحة، ثم بايعه المهاجرون والأنصار، ولم يتخلف عنه أحد، سوى خمسة أشخاص، بينما لم يبايع أبا بكر في السقيفة الا خمسة أشخاص، وكان الإمام عليعليه السلام الخليفة الوحيد الذي لم يجبر أحداً على بيعته، ففضح بذلك اضطهاد مَن قبله ومَن بعده للمسلمين، ومصادرتهم لحرياتهم!

**أول الناكثين للبيعة:**

خطب الإمام أمير المؤمنينعليه السلام بعد مبايعة الناس له، وأعلن في خطبته الدستور الجديد للحكومة المنتخبة، وهو القرآن الكريم وسنة النبيصلى الله عليه وآله، وبيّن الخطوط العريضة لهذه الحكومة، وبعد هذا الإعلان أيقن أصحاب الأطماع أنْ لا نفوذ لهم في ظل هذه الحكومة، كما أنّ عدالة الإمام عليعليه السلام وتمسُّكه بالإسلام لا تروق لأُولئك الذين اكتنزوا الكنوز وامتلكوا الضياع

(١) الصحيح من السيرة الإمام عليعليه السلام، السيد جعفر مرتضى العاملي: ج١٩ ص٤٥.

(٢) كنز العمال، المتقي الهندي: ج٥، ص٧٤٩.

وبنوا القصور من أموال المسلمين، بل هي تشكل تهديداً لهم ولوجودهم، فنكث قومٌ البيعة وتمرد آخرون على الخليفة الشرعي ظلماً وعدواناً، وكان في طليعتهم طلحة والزبير وعائشة وبنو أمية، وفي تاريخ اليعقوبي: (أتاه -أي الى أمير المؤمنين عليه السلام- طلحة والزبير فقالا: إنا نريد العمرة، فأْذَن لنا في الخروج، وروى بعضهم أن علياً قال لهما، أو لبعض أصحابه: والله ما أرادا العمرة، ولكنهما أرادا الغدرة! فلحقا عائشة بمكة فحرضاها على الخروج)[1].

## الانقلاب على الشرعية:

عند رجوع عائشة من مكة الى المدينة لقيها عبد بن أبي سلمه فاخبرها بمقتل عثمان واجتماع الناس على مبايعة أمير المؤمنين عليه السلام، فقالت: والله ليت إن هذه انطبقت على هذه، إن تم الأمر لصاحبك ردوني ردوني، فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوماً، والله لأطلبن بدمه، فقال لها ابن أبي سلمه: ولم؟ فو الله إن أول من أمال حرفه لأنت ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلا فقد كفر، قالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلت وقالوا وقولي الأخير خير من قولي الأول، فقال لها ابن أم كلاب، عذرٌ والله ضعيف، يا أم المؤمنين، ثم أنشد:

**منك البداء ومنك الغير ... ومنك الرياح ومنك المطر**
**وأنت أمرت بقتل الإمام ... وقلت لنا: إنه قد كفر**
**فهبنا أطعناك في قتله ... وقاتله عندنا من أمر**
**وقد بايع الناس ذا تدرء ... يزيل الشبا ويقيم الصعر**

(١) تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي: ج٢، ص١٨٠.

فانصرفت إلى مكة فنزلت على باب المسجد فقصدت للحجر فسترت واجتمع إليها الناس فقالت: يا أيها الناس! إن عثمان قتل مظلوما ووالله لأطلبن بدمه. وأخذت هي وطلحة والزبير يجمعون الرجال، ويشترون السلاح والجمال، فتجمع الناكثون في مكة حول عائشة التي نصبت خيمة في حجر إسماعيل![1]

## نحو البصرة:

سارت عائشة إلى البصرة خارجة على إمام زمانها والخليفة الشرعي أمير المؤمنين علي عليه السلام، ومعها طلحة والزبير في خلق عظيم، وقدم يعلى بن منية بمال من مال اليمن قيل: إن مبلغه أربعمائة ألف دينار، فأخذه منه طلحة والزبير فاستعانا به وسارا نحو البصرة، وفي طريقهم صادفوا اعرابياً واشتروا منه جملا لعائشة وطلبوا منه أن يكون دليلا لهم فقبل الطلب يقول: فسرت معهم، فلا أمرُّ على واد ولا ماء إلا سألوني عنه، حتى طرقنا ماء الحوأب فنبحتنا كلابها! قالوا: أي ماء هذا؟ قلت: ماء الحوأب! قال: فصرخت عائشة بأعلى صوتها، ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته، ثم قالت: أنا والله صاحبة كلاب الحوأب، طروقاً ردوني! تقول ذلك ثلاثاً! فأناخت وأناخوا حولها، وهم على ذلك وهي تأبى حتى كانت الساعة التي أناخوا فيها من الغد، فجاءها ابن الزبير فقال: النجاء النجاء، فقد أدرككم والله علي بن أبي طالب! قال فارتحلوا وشتموني...[2].

وفي مناقب آل أبي طالب: أن عائشة لما سمعت نباح الكلاب قالت:

---

(١) راجع تاريخ الطبري: ج٣، ص٤٧٦.

(٢) راجع المصدر السابق: ج٣، ص٤٧٥.

(أي ماء هذا؟ فقالوا: الحوأب، قالت إنا لله وإنا إليه راجعون، إني لهيَهْ! قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده نساؤه يقول: ليت شعري أيتكن تنبحها كلاب الحوأب؟)[١]، وفي رواية الماوردي: أيتكن صاحبة الجمل الأدبب تخرج فتنبحها كلاب الحوأب، يقتل من يمينها ويسارها قتلى كثير، وتنجو بعد ما كاد تقتل؟! كما روى ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب: (أيتكن صاحبة الجمل الأدبب)[٢]، كما روى ابن قتيبة في كتابه الامامة والسياسة قال: (قالت – أي عائشة –: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لنسائه: كأني بإحداكن قد نبحها كلاب الحوأب، وإياك أن تكوني أنت يا حميراء)[٣].

وفي مناقب الخوارزمي: أول شهود شهدوا في الاسلام بالزور واخذوا عليه الرشا، الشهود الذين شهدوا عند عائشة حين مرت بماء الحوأب، فقالت عائشة: ردوني، ردوني مرتين، فأتوها بسبعين شيخا فشهدوا أنه ماؤنا وما هو بماء الحوأب[٤].

وفي معجم البلدان: أن عائشة لما أرادت المضي إلى البصرة في وقعة الجمل مرت بهذا الموضع فسمعت نباح الكلاب فقالت: ما هذا الموضع؟ فقيل لها: هذا موضع يقال له الحوأب، فقالت: إنا لله ما أراني إلا صاحبة القصة، فقيل لها: وأي قصة؟ قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول وعنده نساؤه: ليت شعري أيتكن تنبحها كلاب الحوأب سائرة إلى الشرق في كتيبة!

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج٢، ص٣٣٦.

(٢) الاستيعاب، ابن عبد البر: ص١٨٨٥

(٣) الامامة والسياسة، ابن قتيبة: ج١، ص٦٠.

(٤) المناقب، الخوارزمي: ص١٨١.

وهمت بالرجوع فغالطوها وحلفوا لها أنه ليس بالحوأب[١].

## الغدر من خصال الناكثين:

روى ابن شهر اشوب في كتابه مناقب آل أبي طالب: (فلما نزلت - عائشة - الخريبة - وهي المكان الذي كانت فيه وقعة الجمل- قصدهم عثمان بن حنيف (حاكم البصرة من قبل الإمام علي عليه السلام) وحاربهم، فتداعوا إلى الصلح، فكتبوا بينهم كتاباً أن لعثمان دار الإمارة وبيت المال والمسجد إلى أن يصل إليهم علي عليه السلام، فقال طلحة لأصحابه في السر: والله لئن قدم علي البصرة لنؤخذَن بأعناقنا، فأتوا على عثمان بياتاً في ليلة ظلماء وهو يصلي بالناس العشاء الآخرة، وقتلوا منهم خمسين رجلاً واستأسروه ونتفوا شعر لحيته وشاربه وأشفار عينيه وحاجبيه وحبسوه، فبلغ ذلك سهل بن حنيف فكتب إليهما: أعطي الله عهداً لئن لم تُخلّوا سبيله لأبلغن من أقرب الناس إليكما! فأطلقوه، ثم بعثا عبد الله بن الزبير في جماعة إلى بيت المال فقتل أبا سلمة الزطي في خمسين رجلاً، وبعثت عائشة إلى الأحنف تدعوه فأبى واعتزل بالجلحاء من البصرة في فرسخين، وهو في ستة آلاف)[٢].

وذكر ابن ابي الحديد: وأرسلت عائشة إلى الزبير أن أقتل السبابجة فإنه قد بلغني الذي صنعوا بك.

قال: فذبحهم والله الزبير كما يذبح الغنم، ولى ذلك منهم عبد الله ابنه، وهم سبعون رجلا وبقيت منهم طائفة مستمسكين ببيت المال، قالوا: لا

---

(١) معجم البلدان، الحموي: ج٢، ص٣١٤.

(٢) المناقب، الخوارزمي: ص١٨١.

ندفعه إليكم حتى يقدم أمير المؤمنين، فسار إليهم الزبير في جيش ليلا، فأوقع بهم، وأخذ منهم خمسين أسيرا فقتلهم صبرا[١].

## الإمام عليه السلام يغادر المدينة:

في مناقب آل أبي طالب: (فأمَّر علي عليه السلام سهل بن حنيف على المدينة وقثم بن العباس على مكة، وخرج في ستة آلاف إلى الربذة، ومنها إلى ذي قار، وأرسل الحسن وعمار إلى الكوفة وكتب: من عبد الله ووليه علي أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة جبهة الأنصار وسنام العرب، ثم ذكر فيه قتل عثمان وفعل طلحة والزبير وعائشة... فلما بلغا الكوفة قال أبو موسى الأشعري: يا أهل الكوفة اتقوا الله ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً، ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً**﴾[٢]، فسكَّته عمار، فقال أبو موسى: هذا كتاب عائشة تأمرني أن أكف أهل الكوفة، فلا تكونن لنا ولا علينا، ليصل إليهم صلاحهم، فقال عمار: إن الله تعالى أمرها بالجلوس فقامت! وأمرنا بالقيام لندفع الفتنة فنجلس؟ فقام زيد بن صوحان ومالك الأشتر في أصحابهما وتهددوه... فخرج قعقاع بن عمرو، وهند بن عمر، وهيثم بن شهاب، وزيد بن صوحان، والمسيب بن نجبة، ويزيد بن قيس، وحجر بن عدي، وابن مخدوج، والأشتر، اليوم الثالث في تسعة آلاف، فاستقبلهم علي عليه السلام على فرسخ وقال مرحباً بكم أهل الكوفة وفئة الإسلام، ومركز الدين، في كلام له...، ولقيه عثمان بن حنيف فقال: يا

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج٩، ص٣٢١.

(٢) سورة النساء: آية٩٣.

أمير المؤمنين، وجهتني ذا لحية فأتيتك أمرد! وقص عليه القصة)[١].

### البصرة تعلن الولاء:

خرج إلى عليعليه السلام شيعته من أهل البصرة من ربيعة ثلاثة آلاف رجل، وبعث الأحنف إليه إن شئت أتيتك في مائتي فارس فكنت معك، وإن شئت اعتزلت ببني سعد فكففت عنك ستة آلاف سيف، فاختار عليٌّ اعتزاله.

### الدين النصيحة:

في كشف الغمة في معرفة الأئمة للإربلي: (وكتب عليعليه السلام الى عايشة: أما بعد فإنك خرجت من بيتك عاصية لله تعالى ولرسولهصلى الله عليه وآله تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً، ثم تزعمين أنك تريدين الإصلاح بين الناس فخبريني ما للنساء وقَوْدُ العساكر! وزعمت أنك طالبة بدم عثمان، وعثمان رجل من بني أمية وأنت امرأة من بني تيم بن مرة! ولعمري إن الذي عرّضك للبلاء وحملك على المعصية لأعظم إليك ذنباً من قتله عثمان، وما غَضبتِ حتى أُغضِبتِ، ولا هِجتِ حتى هُيِّجتِ فاتقي الله يا عائشة وارجعي إلى منزلك، واسبلي عليك سترك، والسلام.

فجاء الجواب إليهعليه السلام: يا ابن أبي طالب جَلَّ الأمر عن العتاب، ولن ندخل في طاعتك أبداً، فاقض ما أنت قاض، والسلام)[٢].

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب:ج٢، ص٣٣٦.

(٢) كشف الغمة، الإربلي: ج١، ص٢٤٠.

## الإمام عليه السلام يذّكر القوم:

كل ذلك وعلي عليه السلام بين الصفين عليه قميص ورداء وعلى رأسه عمامة سوداء، وهو راكب على بغلة، فلما رأى أنه لم يبقَ إلا مصافحة الصفاح والمطاعنة بالرماح صاح بأعلى صوته: أين الزبير بن العوام فليخرج إليَّ؟ فخرج إليه ودنا منه حتى واقفه فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا عبد الله ما حملك على ما صنعت؟ فقال: الطلب بدم عثمان، فقال عليه السلام: أنت وأصحابك قتلتموه فيجب عليك أن تقيد من نفسك! ولكن أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل الفرقان على نبيه محمد صلى الله عليه وآله: أما تذكر يوماً قال لك **رسول الله** صلى الله عليه وآله: يا زبير أتحب علياً؟ فقلت: وما يمنعني من حبه وهو ابن خالي، فقال لك: أما إنك ستخرج عليه يوماً وأنت له ظالم؟! فقال الزبير: اللهم بلى فقد كان ذلك! فقال علي عليه السلام: فأنشدك الله الذي أنزل الفرقان على نبيه محمد صلى الله عليه وآله: أما تذكر يوماً جاء رسول الله صلى الله عليه وآله من عند ابن عوف وأنت معه وهو آخذ بيدك، فاستقبلته أنا فسلمت عليه فضحك في وجهي وضحكت أنا إليه، فقلت أنت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه أبداً! فقال لك النبي صلى الله عليه وآله: مهلاً يا زبير فليس به زهو، ولتخرجن عليه يوماً وأنت ظالم له؟! فقال الزبير: اللهم بلى، ولكن أُنسيت! فأما إذْ ذكّرتني ذلك فلأنصرفنَ عنك، ولو ذكرتُ ذلك لما خرجت عليك! ثم رجع إلى عائشة فقالت: ما وراءك يا أبا عبد الله؟ فقال الزبير: والله ورائي أني ما وقفت موقفاً في شرك ولا إسلام إلا ولي فيه بصيرة، وأنا اليوم على شك من أمري، وما أكاد أبصر موضع قدمي! ثم شق الصفوف وخرج من بينهم ونزل على قوم من بني تميم، فقام إليه عمرو بن جرموز المجاشعي فقتله حين نام، وكان في ضيافته، فنفذت دعوة علي عليه السلام

فيه، حيث قال: (الزبير وقاتله في النار).

ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام استدعى طلحة بن عبيد الله، فقال له: إنما دعوتك يا أبا عبد الله لأذكرك ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله، أما سمعته يقول: (اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله؟)

وأنت أول من بايعني، ثم نكثت بيعتك لي، وقد قال الله تعالى فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، فقال: أستغفر الله، وكان أمر الله قدراً مقدوراً. فرجع وهو يقول هذه الأبيات:

**ندمت وظل لحمي ولهفي … مثل لهف أبي وأمي**
**ندمت ندامة الكسعي طلبت … رضا بني جرم بزعمي**

وفي صباح نفس اليوم وقبل نشوب المعركة انهدَّ الركن الثاني لعائشة، حيث بادر مروان إلى تنفيذ خطته في قتل طلحة! قال ابن سعد في الطبقات: (عن محمد بن سيرين أن مروان اعترض طلحة لما جال الناس بسهم فأصابه فقتله... عن عبد الملك بن مروان يقول: لولا أن مروان أخبرني أنه هو الذي قتل طلحة ما تركت من ولد طلحة أحداً إلا قتلته بعثمان بن عفان)[1].

ونقل الشيخ المفيد: (عن إسماعيل بن عبد الملك عن يحيى بن شبل عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال حدثني أبي علي زين العابدين عليه السلام قال قال لي مروان بن الحكم لما رأيت الناس يوم الجمل قد كشفوا قلت والله لأدركن ثاري ولأفوزن منه الآن فرميت طلحة فأصبت نساه فجعل الدم ينزف فرميته ثانية فجاءت به فأخذوه حتى وضعوه تحت شجرة فبقي تحتها ينزف منه الدم

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد: ج٣، ص٢٢٣.

حتى مات)[١].

## بـدء المعركة:

زحف الإمام علي عليه السلام بالناس لقتال القوم، وسار علي عليه السلام إليهم وكان معه سبعمائة من الصحابة وفيهم أربعمائة من المهاجرين والأنصار منهم سبعون بدرياً، قال المجلسي: (وعلى ميمنته مالك الأشتر وسعيد بن قيس، وعلى ميسرته عمّار بن ياسر وشريح بن هانئ، وعلى القلب محمّد بن أبي بكر وعدي بن حاتم، وأعطى رايته محمّد بن الحنفية، ثمّ أوقفهم من صلاة الغداة إلى صلاة الظهر يدعوهم ويناشدهم، ووقع القتال بعد الظهر وانقضى عند المساء)[٢].

قال الطبري في تاريخه: (عن أبي البختري الطائي قال: أطافت ضبة والأزد بعائشة يوم الجمل، وإذا رجال من الأزد يأخذون بعر الجمل فيفتونه ويشمونه ويقولون: بعرُ جمل أمنا ريحه ريح المسك)[٣].

ولما رأى أمير المؤمنين عليه السلام لوثَ أهل البصرة بالجمل، وأنهم كلما كشفوا عنه عادوا فلاثوا به، قال لأصحابه: إن هؤلاء لا يزالون يقاتلون ما دام هذا الجمل نصب أعينهم، ولو قد عقر فسقط لم تثبت لهم ثابتة، فقصدوا بذوي الجد من أصحابه قصد الجمل حتى كشفوا أهل البصرة عنه، وأفضى إليه رجل من مراد الكوفة، يقال له أعين بن ضبيعة فكشف عرقوبه بالسيف، فسقط وله رغاء، فغرق في القتلى، ومال الهودج بعائشة، فقال علي عليه السلام لمحمد

(١) الجمل، الشيخ المفيد: ص٢٠٤.

(٢) بحار الانوار، العلامة المجلسي: ج٣٢، ص١٧٢.

(٣) تاريخ الطبري، الطبري:ج٣، ص٥٣٠.

بن أبي بكر: تقدم إلى أختك، فدنا محمد، فأدخل يده في الهودج، فنالت يده ثياب عائشة، فقالت: إنا لله، من أنت ثكلتك أمك، فقال: أنا أخوك محمد!.[(١)]

## من نبل علي عليه السلام وعدالته في حرب الجمل:

نادى علي عليه السلام في أصحابه: لا تتبعوا مولياً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تنتهبوا مالا، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، قال: فجعلوا يمرون بالذهب والفضة في معسكرهم والمتاع، فلا يعرض له أحد، إلا ما كان من السلاح الذي قاتلوا به، والدواب التي حاربوا عليها، فقال له بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين، كيف حلَّ لنا قتالهم ولم يحلَّ لنا سبيهم وأموالهم؟! قال علي عليه السلام: ليس على الموحدين سبي، ولا يغنم من أموالهم إلا ما قاتلوا به وعليه، فدعوا مالا تعرفون، وألزموا ما تؤمرون.

وفي تاريخ اليعقوبي: (وأتاها علي عليه السلام، وهي في دار عبد الله بن خلف الخزاعي وابنه المعروف بطلحة الطلحات، فقال: إيهاً يا حميراء! ألم تُنْهَيْ عن هذا المسير! فقالت: يا ابن أبي طالب قدرتَ فاسجحْ! فقال: أخرجي إلى المدينة وارجعي إلى بيتك الذي أمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تقري فيه، قالت: أفعل، فوجه معها سبعين امرأة من عبد القيس في ثياب الرجال، حتى وافوا بها المدينة)[(٢)].

وقال الشيخ المفيد: (لما عزم أمير المؤمنين عليه السلام على المسير إلى الكوفة أنفذ إلى عائشة يأمرها بالرحيل إلى المدينة فتهيأت لذلك وأنفذ معها أربعين

---

(١) راجع الأخبار الطوال، ابن قتيبة: ص١٥٠.

(٢) تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي: ج٢، ص١٨٣.

امرأة ألبسهن العمائم والقلانس وقلدهن السيوف وأمرهن أن يحفظنها ويكن عن يمينها وشمالها ومن ورائها فجعلت عائشة تقول في الطريق اللهم افعل بعلي بن أبي طالب وافعل بعث معي الرجال ولم يحفظ بي حرمة رسول الله فلما قدمن المدينة معها ألقين العمائم والسيوف ودخلن معها فلما رأتهن ندمت على ما فرطت بذم أمير المؤمنين عليه السلام وسبه وقالت جزى الله ابن أبي طالب خيرا فلقد حفظ في حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله)[1].

**دروس وعبر**:

بعد مقتل الجمل جاء الإمام عليه السلام فقرع الهودج برمحه وقال: يا حميراء، بهذا أوصاك رسول الله صلى الله عليه وآله؟!

فقالت: يا ابن أبي طالب، ملكت فاصفح وظفرت فاسجع.

فقال الإمام عليه السلام: والله، ما أدري متى أشفي غيظي؟ أحين أقدر على الانتقام يقال لي: لو عفوت؟! أم حين أعجز من الانتقام فيقال لي: لو صبرت بلى أصبر فإنّ لكلّ شيء زكاة، وزكاة القدرة والمكنة: العفو والصفح.

ومرّ الإمام عليه السلام على القتلى فمر بعبدالله بن ربيعة بن درّاج وهو في القتلى فقال: هذا البائس، ما كان أخرجه؛ أدينٌ أخرجه، أم نصر لعثمان؟! والله ما كان رأي عثمان فيه ولا في أبيه بحسن.

ثمّ مر عليه السلام بمعبد بن زهير بن أبي أُميّة فقال: لو كانت الفتنة برأس الثريّا لتناولها هذا الغلام، والله ما كان فيها بذي نحيزة[2]، ولقد أخبرني من أدركه

(١) الجمل، الشيخ المفيد: ص٢٢٢.

(٢) أي: الطبع.

وإنّه ليُولول فَرَقاً من السيف.

ثمّ مرّ عليه السلام بمسلم بن قرظة فقال: البرّ أخرج هذا! والله، لقد كلّمني أن أُكلّم له عثمان في شيء كان يدّعيه قبله بمكّة، فأعطاه عثمان وقال: لولا أنت ما أعطيته، إنّ هذا ما علمت بئس أخو العشيرة؛ ثمّ جاء المشوم للحين ينصر عثمان.

ثمّ مرّ عليه السلام بعبدالله بن حميد بن زهير فقال: هذا أيضاً ممّن أوضع في قتالنا، زعم يطلب الله بذلك، ولقد كتب إليّ كتباً يؤذي فيها عثمان، فأعطاه شيئاً، فرضي عنه.

ومرّ عليه السلام بعبدالله بن حكيم بن حزام فقال: هذا خالف أباه في الخروج، وأبوه حيث لم ينصرنا قد أحسن في بيعته لنا، وإن كان قد كفّ وجلس حيث شكّ في القتال، وما ألوم اليوم من كفّ عنّا وعن غيرنا، ولكن المليم الذي يقاتلنا!

ثمّ مرّ عليه السلام بعبدالله بن المغيرة بن الأخنس فقال: أمّا هذا فقُتل أبوه يوم قتل عثمان في الدار، فخرج مغضباً لمقتل أبيه، وهو غلام حدث حُيّن لقتله.

ثمّ مرّ عليه السلام بعبدالله بن أبي عثمان بن الأخنس بن شريق، فقال: أمّا هذا فإنّي أنظر إليه وقد أخذ القوم السيوف هارباً يعدو من الصفّ فنَهنهتُ[١] عنه، فلم يسمع من نهنهتُ حتّى قتله. وكان هذا ممّا خفي على فتيان قريش، أغمار[٢] لا علم لهم بالحرب، خدعوا واستزلّوا، فلمّا وقفوا وقعوا فقتلوا.

---

(١) نهنهتَ: إذا صحت به لتكفّه.

(٢) جمع غمر: الذي لم يجرّب الأُمور.

ثمّ مشى قليلا - ينظر إلى القتلى - فمرّ بكعب بن سور فقال عليه السلام: هذا الذي خرج علينا في عنقه المصحف، يزعم أنّه ناصر أُمّه، يدعو الناس إلى ما فيه وهو لا يعلم ما فيه، ثمّ استفتح وخاب كلّ جبّار عنيد، أما إنّه دعا الله أن يقتلني، فقتله الله. أجلسوا كعب بن سور، فأُجلس، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا كعب، قد وجدتُ ما وعدني ربّي حقّاً، فهل وجدت ما وعدك ربّك حقّاً؟ ثمّ قال: أضجعوا كعباً.

ومرّ عليه السلام على طلحة بن عبيد الله فقال: هذا الناكث بيعتي، والمنشئ الفتنة في الأُمّة، والمجلب عليَّ، الداعي إلى قتلي وقتل عترتي، أجلسوا طلحة. فأُجلس، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا طلحة بن عبيد الله، قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً، فهل وجدت ما وعد ربّك حقّاً؟ ثمّ قال: أضجعوا طلحة، وسار.

فقال له بعض من كان معه: يا أمير المؤمنين، أتُكلّم كعباً وطلحة بعد قتلهما؟

قال عليه السلام: أمَ والله، إنّهما لقد سمعا كلامي كما سمع أهل القليب كلام رسول الله صلى الله عليه وآله.

وبعد نصره الإلهي على جيش الجمل فتح أمير المؤمنين عليه السلام البصرة ودخل بيت المال وقسّم ما فيه فلحق الرجل خمسمائة درهم، فأخذ هو كأحدهم فجاءه إنسان لم يحضر الواقعة فأعطاه حصّته!

وقال القعقاع: ما رأيت شيئاً أشبه بشيء من قتال القلب يوم الجمل بقتال صفّين، لقد رأيتنا ندافعهم بأسنّتنا ونتّكئ على أزجّتنا[1]، وهم مثل

---

(١) الزجّ: الحديدة التي تركّب في أسفل الرمح.

ذلك، حتّى لو أنّ الرجال مشت عليها لاستقلّت بهم[١].

## عفو الإمامعليه السلام عن الأسرى:

بعد أن وضعت الحرب أوزارها التفت أمير المؤمنينعليه السلام إلى محمّد بن أبي بكر وقال: شأنك بأُختك، فلا يدنو منها أحد سواك، وأمرعليه السلام فاحتملت عائشة بهودجها إلى دار عبد الله بن خلف في البصرة، وأمر بالجمل أن يحرق ثمّ يذرى رماده في الريح، وقالعليه السلام إشارة إلى الجمل: لعنه الله من دابّة، فما أشبهه بعجل بني إسرائيل، ثمّ تلا: ﴿**وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً**﴾[٢].

وركبت عائشة وهي تقول: فخرتم وغلبتم، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

ونادى الإمامعليه السلام: يا محمّد بن أبي بكر، سلها هل وصل إليها شيء من الرماح والسهام؟ فسألها، فقالت: نعم، وصل إليّ سهم، خدش رأسي وسلمت من غيره، الله بيني وبينكم.

فقال محمّد: والله ليحكمنّ عليك يوم القيامة ما كان بينك وبين أمير المؤمنينعليه السلام حين تخرجين عليه وتؤلّبين الناس على قتاله وتنبذين كتاب الله وراء ظهرك.

فقالت عائشة: دعنا يا محمّد وقل لصاحبك يحرسني.

فجاء ابن عباس يطلب الأمان لمروان بن الحكم، فأمره الإمام بإحضاره، فلمّا حضر قال له الإمام: أتبايع؟ فقال: نعم وفي النفس ما فيها.

---

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ج٢، ص٣٤٨.

(٢) سورة طه: آية٩٧.

فقال الإمامعليه السلام: الله أعلم بما في القلوب. فلمّا بسط يده ليبايعه أخذ كفّه من كفّ مروان وجذبها، وقال: (لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ إِنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ، لَوْ بَايَعَنِي بِكَفِّه لَغَدَرَ بِسَبَّتِهِ)[١].

ثمّ قالعليه السلام: هيه يا بن الحكم، خفت على رأسك أن تقع في هذه المعمعة؟! كلاّ والله، حتّى يخرج من صلبك فلان وفلان يسومون هذه الأُمّة خسفاً ويسقونهم كأساً مصبّرة[٢].

قال ابن أبي الحديد المعتزلي: (وأمّا الحلم والصفح، فكان أحلم الناس عن ذنب، وأصفحهم عن مسيء؛ وقد ظهر صحّة ما قلناه يوم الجمل؛ حيث ظفر بمروان بن الحكم وكان أعدى الناس له، وأشدّهم بغضاً فصفح عنه.

وكان عبد الله بن الزبير يشتمه على رؤوس الأشهاد، وخطب يوم البصرة فقال: قد أتاك الوغد اللئيم علي بن أبي طالب وكان عليعليه السلام يقول: ما زال الزبير رجلا منّا أهل البيت حتّى شبّ عبدالله فظفر به يوم الجمل، فأخذه أسيراً، فصفح عنه، وقال: اذهب فلا أرينّك ; لم يزد على ذلك.

وظفر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكّة، وكان له عدوّاً، فأعرض عنه ولم يقل له شيئاً)[٣].

وبعد هزيمة جيش عائشة نادى منادي الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام: (من ألقى سلاحه فهو آمن ومن دخل داره فهو آمن).

(١) نهج البلاغة، تحقيق صالح: ص١٠٢.

(٢) الخرائج والجرائح، الراوندي: ج١، ص١٩٧.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج١، ص٢٣.

ولّما دخل عليه السلام بيت عائشة صاحت النساء وقلن يا قاتل الأحبّة.

فقال عليه السلام: لو كنت قاتل الأحبّة لقتلت مَن في هذا البيت، وأشار إلى بيت من تلك البيوت، قد اختفى فيه مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عامر وغيرهم (الوليد بن عقبة وولد عثمان بن عفّان وغيرهم من بني أُميّة)[1].

وعفا الإمام علي عليه السلام عن هؤلاء بالرغم من ذنبهم الكبير في قتلهم المؤمنين وسرقتهم الأموال، ولم يحفظ هؤلاء لعلي بن أبي طالب عليه السلام فضله فذهب عبدالله بن عامر ومروان بن الحكم والوليد بن عقبة إلى معاوية فحاربوا علياً عليه السلام ثانية في صفّين، وطالبوا بقطع الماء عنهم ليموتوا عطشاً، وطلب عثمان من عائشة الوساطة عند طلحة في قطعه الماء عنه وتحريض الناس على قتله فأبت عائشة[2].

## قتلى معركة الجمل:

قال أبو يعقوب إسحاق بن يوسف الفزاري: (سألت أبا المنذر هشام بن محمد بن السائب عمن قتل من أصحاب علي عليه السلام وعائشة في يوم الجمل، فقال: أما علي عليه السلام فكان في عشرين ألفا، قتل من أصحابه ألف رجل وسبعون رجلا، وأما عائشة فكانت في ثلاثين ألفا ويزيدون، فقتل من الأزد خاصة أربعة آلاف رجل، ومن بني ضبة ألف رجل، ومن بني ناجية أربعمائة رجل، ومن بني عدي ومواليهم تسعون رجلا، ومن بني بكر بن وائل ثمانمائة

(١) مروج الذهب، المسعودي: ج٢، ص٣٦٩.

(٢) المصدر السابق.

رجل، ومن بني حنظلة سبعمائة رجل، ومن سائر أخلاط الناس تسعة آلاف رجل)[١].

وذكر الطبري في تاريخه: (كان قتلى الجمل حول الجمل عشرة آلاف، نصفهم من أصحاب علي ونصفهم من أصحاب عائشة)[٢].

وفي كشف الغمة: (وكان عدة من قتل من جند الجمل ستة عشر ألفاً وسبعمائة وتسعين إنساناً، وكانوا ثلاثين ألفاً، فأتى القتل على أكثر من نصفهم، وقتل من أصحاب علي عليه السلام ألف وسبعون رجلاً، وكانوا عشرين ألفاً)[٣].

## برقبة من قتلى معركة الجمل؟:

أجمع الكثير من فقهاء العامة بتحميل عائشة، وطلحة، والزبير، ومروان جريرة ما حدث في الجمل، قال المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير: (أجمع فقهاء الحجاز والعراق من فريق الحديث والرأي، منهم مالك، والشافعي، وأبو حنيفة، والأوزاعي، والجمهور الأعظم من المتكلمين والمسلمين: أن عليا مصيب في قتاله لأهل صفين، كما هو مصيب في أهل الجمل، وأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له)[٤].

---

(١) الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي: ج٢، ص٤٨٧.

(٢) تاريخ الطبري، الطبري: ج٣، ص٥٤٣.

(٣) كشف الغمة، الأربلي: ج١، ص٢٤٣.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي: ج٦، ص٤٧٥.

## دوافع التَمَرّد:

الشيء المحقَّق أنه لم تكن للناكثين أيّة أهداف اجتماعية، وإنما دفعتهم مصالحهم الخاصة، لنكث بيعة الإمام عليه السلام، فبعد أن تقلّد الإمام عليه السلام الخلافة الظاهرية طلب طلحة والزبير منه منحهما ولاية البصرة والكوفة، فأبى عليهما أمير المؤمنين عليه السلام، فلما خيّب عليه السلام أملهما، أظهرا السخط، وأسرعا إلى مكة لإعلان الثورة عليه، وتمزيق شمل المسلمين.

وقد أدلى الزبير بتصريح أعرب فيه عن أهدافه، فقد أقبل إليه وإلى طلحة رجل فقال لهما: إن لكما صحبة وفضلاً، فأخبراني عن مسيركما وقتالكما، أشيء أمركما به رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فسكت طلحة، وأما الزبير فقال: حُدّثنا أن هَاهُنا بيضاء وصفراء - أي: دراهم ودنانير - فجئنا لنأخذ منها.

وأما عائشة فإنها كانت تروم إرجاع الخلافة إلى أسرتها، فهي أول من قدح زناد الثورة على عثمان، وأخذت تلهب المشاعر والعواطف ضده، وقد جهدت على ترشيح طلحة للخلافة، وكانت تشيد به في كل مناسبة، وقد روى ذلك أغلب أهل التاريخ من العامة، ومنهم ابن أبي الحديد المعتزلي في كتابه شرح نهج البلاغة حيث قال: (إن عائشة لما بلغها قتل عثمان وهي بمكة، أقبلت مسرعة، وهى تقول: إيه ذا الإصبع! لله أبوك، أما إنهم وجدوا طلحة لها كفوا)[1].

وأما بنو أمية فقد طلبوا من الإمام عليه السلام أن يضع عنهم، ما أصابوا من

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج٦، ص٢١٥.

المال في أيام عثمان، فرفض الإمام عليه السلام أن يضع عنهم، ما اختَلَفوه من أموال الأمة، فأظهروا له العداء، وعملوا على إثارة الفتنة والخلاف.

وعلى أي حال، فإنه لم تكن للناكثين نزعة إصلاحية، أو دعوة إلى الحق، وإنما كانت بواعثهم الأنانية، والأطماع، والأحقاد على الإمام عليه السلام، الذي هو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله، وباب مدينة علمه.

وقد تحقق قول النبي صلى الله عليه وآله بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين: قال الذهبي في ميزان الاعتدال[1]: وعن علي بن الحزور، عن الأصبغ بن نباتة، عن أبي أيوب، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه أمرنا بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، قلت: يا رسول الله، مع مَن؟ قال: مع علي بن أبي طالب.

وهكذا طويت صفحة من الباطل، لكن فُتِحت صفحات و...

## أسباب بغض عائشة للإمام عليه السلام:

عن عمر بن أبان قال: لمّا ظهر أمير المؤمنين عليه السلام على أهل البصرة، جاءه رجال منهم فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما السبب الذي دعا عائشة إلى المظاهرة عليك حتّى بلغت من خلافك وشقاقك ما بلغت؟ وهي امرأة من النساء، لم يكتب عليها القتال، ولا فرض عليها الجهاد، ولا أرخص لها في الخروج من بيتها، ولا التبرّج بين الرجال، وليست ممّا تولّته في شيء على حال.

فقال عليه السلام: سأذكر أشياء حقدتها عليَّ ليس في واحد منها ذنب إليها ولكنّها تجرّمت بها عليَّ.

**أحدها**: تفضيل رسول الله صلى الله عليه وآله لي على أبيها وتقديمه إيّاي في مواطن

(١) ميزان الاعتدال، الذهبي: ج١، ص٢٧١.

الخير عليه، فكانت تضطغن ذلك، ويصعب عليها، وتعرفه منه فتتبع رأيه فيه.

**وثانيها:** لمّا آخى بين أصحابه، آخى بين أبيها وبين عمر بن الخطاب، واختصّني بأخوته، فغلُظ ذلك عليها.

**وثالثها:** أوصى صلوات الله عليه بسدّ أبواب كانت في المسجد لجميع أصحابه إلاّ بابي، فلمّا سدّ باب أبيها وصاحبه، وترك بابي مفتوحاً في المسجد، تكلّم في ذلك بعض أهله، فقال عليه السلام: ما أنا سددْتُ أبوابكم وفتحت باب علي، بل الله عزّوجلّ سدّ أبوابكم وفتح بابه، فغضب لذلك أبو بكر، وعظم عليه، وتكلّم في أهله بشيء، سمعته منه ابنته، فاضطغنته عليَّ.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله أعطى أباها الراية يوم خيبر، وأمره أن لا يرجع حتّى يفتح أو يقتل، فلم يلبث لذلك وانهزم، فأعطاها في الغد عمر بن الخطّاب، وأمره بمثل ما أمر صاحبه، فانهزم، ولم يلبث فساء رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك وقال لهم ظاهراً معلناً: لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، كرّار غير فرّار، لا يرجع حتّى يفتح الله على يده، فأعطاني الراية، فصبرتُ حتّى فتح الله على يدي، فغَمّ ذلك أباها وأحزنه، فاضطغنته عليَّ، ومالي إليه ذنب في ذلك، فحقدت لحقد أبيها.

وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله أباها ليؤدّي سورة براءة، وأمره أن ينبذ العهد للمشركين، فمضى حتّى انحرف، فأوحى الله إلى نبيّه صلى الله عليه وآله أن يردّه، ويأخذ الآيات فيسلّمها إليّ، فعرف أباها بإذن الله عزّوجلّ، وكان فيما أوحى الله عزّوجلّ إليه لا يؤدّي عنك إلاّ رجل منك، وكنت من رسول الله صلى الله عليه وآله وكان منّي، فاضطغن لذلك عليَّ أيضاً وأتبعته عائشة في رأيه.

وكانت عائشة تمقت خديجة بنت خويلد، وتشنؤها شنآن الضرائر، وكانت تعرف مكانها من رسول الله صلى الله عليه وآله فيثقل ذلك عليها، وتعدّى مقتها إلى ابنتها فاطمة، فتمقتني وتمقت فاطمة وخديجة، وهذا معروف في الضرائر[1].

(١) الجمل، الشيخ المفيد: ص٢١٨.

## واقعة صفين

أصدر الإمام عليّ عليه السلام قراره بعزل معاوية عن الشام بمجرد أن تولى أمر الخلافة، إلا أن معاوية رفض الانصياع لقرار الإمام عليه السلام وأعلن العصيان، رافعاً قميص عثمان على منبر دمشق، داعيا الناس إلى الثأر من قتلته، مشيراً بإصبع الاتهام إلى الإمام علي وشيعته.

لقد حكم معاوية الشام سبعة عشر عاما مكّن لنفسه فيها وارتبط مصيره بها وكانت بالنسبة له بمثابة دولة وليست ولاية.. ولأنّ الإمام عليه السلام كان يفقه حقيقة معاوية والاتجاه الذي يمثله والدور الذي لعبه وسوف يلعبه، كان لا بد من أن يتبنى هذا الموقف تجاهه، فحقيقة معاوية أنه شيطان هذه الأمة، والاتجاه الذي يمثله هو الباطل، والدور الذي لعبه وسوف يلعبه هو ضرب الإسلام النبوي، وأمام شخص كهذا لا تصح المساومات والمداهنات وأنصاف الحلول، لأنها سوف تكون على حساب الحق وسوف ينتج عنها دعم الباطل، من هنا كان السيف هو الحل الذي فرض نفسه، فلم يكن أمام معاوية سواه ليواجه به الإمام عليه السلام فهو لا يملك أية مقومات أخرى ليواجهه بها، فهو لا يملك الشرعية، ولا يملك العلم، ولا يملك الرصيد التاريخي.

## معاوية يستشير عمرو بن العاص:

لما أراد معاوية السير إلى صفين قال لعمرو بن العاص: إني قد رأيت أنّ نلقي إلى أهل مكة وأهل المدينة كتاباً نذكر لهم فيه أمر عثمان، فإما أن ندرك حاجتنا، وإمّا أن يكفّ القوم عنّا، قال عمرو: إنّما نكتب إلى ثلاثة نفر: راض بعلي فلا يزيده ذلك إلاّ بصيرة، أو رجل يهوى عثمان فلن نزيده على ما هو عليه، أو رجل معتزل فلستَ بأوثق في نفسه من عليّ، قال: عليّ ذلك، فكتبا: (أما بعد، فإنه مهما غابت عنّا من الأمور فلن يغيب عنّا أن عليّاً قتل عثمان، والدليل على ذلك مكان قتَلتِه منه وإنما نطلب بدمه حتى يدفعوا إلينا قتَلتَه فنقتلهم بكتاب الله، فإن دفعَهم عليٌ إلينا كففنا عنه، وجعلناها شورى بين المسلمين على ما جعلها عليه عمر بن الخطاب، وأمّا الخلافة فلسنا نطلبها فأعينونا على أمرنا هذا وانهضوا من ناحيتكم فإن أيدينا وأيديكم إذا اجتمعت على أمر واحد، هاب عليّ ما هو فيه)[١].

## عليّ عليه السلام يستشير المهاجرين والأنصار قبل المسير إلى الشام:

روي أن أمير المؤمنين عليه السلام لما أراد المسير إلى أهل الشام دعا إليه من كان معه من المهاجرين والأنصار، فحمّد الله وأثنى عليه وقال: (أما بعدُ: فإنكم ميامين الرأي، مراجيح الحلم، مقاويل بالحق، مباركو الفعل والأمر، وقد أردنا المسير إلى عدونا وعدوكم فأشيروا علينا برأيكم)[٢].

فقام جملة من أصحابه وطلبوا منه الإسراع في المسير إليهم ودعوتهم إلى

---

(١) وقعة صفين، ابن مزاحم المنقري: ص٦٢.

(٢) المصدر السابق: ص٩٢.

الرجوع لرشدهم، فإن أجابوا إلى الحق فليس بعد الحق إلاّ الضلال، وإن أبوا إلا الشقاق فليس لهم إلا الحرب.

ويروى أن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أخذ يظهر البراءة ويشتم أهل الشام، فأرسل إليهم علي عليه السلام: أن كفّوا عما يبلغني عنكم، فأتوا إليه وقالوا: يا أمير المؤمنين، ألسنا محقّين؟ قال: بلى، قالوا: أوليسوا مبطلين؟ قال: بلى، قالوا: فلم منعتنا من شتمهم؟ قال عليه السلام: (إِنِّي أَكْرَه لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ، ولَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ، كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ وأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ، وقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ، اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا ودِمَاءَهُمْ، وأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وبَيْنِهِمْ وأهدهم مِنْ ضَلَالَتِهِمْ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَه، ويَرْعَوِيَ عَنِ الْغَيِّ والْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِه كان هذا أحب إلي وخيراً لكم)[1].

## خروج الإمام علي عليه السلام إلى النخيلة:

وأمر عليٌ عليه السلام الناس بالخروج إلى المعسكر بالنخيلة واستخلف عقبة بن عمرو الأنصاري على الكوفة، وكان أصغر أصحاب العقبة السبعين، ثم خرج عليٌ عليه السلام وخرج الناس معه.

وبلغ معاوية بن أبي سفيان وهو في دمشق مكان عليّ عليه السلام بالنخيلة، ومعسكره بها، فألبس منبر دمشق قميص عثمان وهو مخضب بالدم، وأجتمع حول المنبر سبعون ألف شيخ يبكون لا تجف دموعهم على عثمان فصعد معاوية المنبر وخطب في أهل الشام، فقال:

---

(١) نهج البلاغة، تحقيق صالح: ص٣٢٣.

(يا أهل الشام، قد كنتم تكذبوني في عليّ، وقد استبان لكم أمره، والله ما قتل خليفتكم غيره، وهو أمر بقتله، وألّب الناس عليه، وآوى قتلته، وهم جنده وأنصاره وأعوانه، وقد خرج بهم قاصداً بلادكم ودياركم لإبادتكم، يا أهل الشام، الله في عثمان فأنا وليّ عثمان وأحق من طلب بدمه، وقد جعل الله لوليّ المظلوم سلطاناً، فانصروا خليفتكم المظلوم، فقد صنع به القوم ما تعلمون، قتلوه ظلماً وبغياً، وقد أمر الله بقتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله) ثم نزل، فأعطوه الطاعة وانقادوا له وجمع إليه أطرافه[1].

ويروي أن عليّاً عليه السلام لّما أراد الشخوص إلى النخيلة قال له مالك بن حبيب -وهو على شرطة عليّ عليه السلام- وهو آخذ بعنان دابته عليه السلام: يا أمير المؤمنين أتخرج بالمسلمين فيصيبوا أجر الجهاد والقتال وتخلفني في حشر الرجال؟ فقال له عليّ عليه السلام: (إنهم لن يصيبوا من الأجر شيئاً إلا كنت شريكهم فيه، وأنت ها هنا أعظم غناء منك عنهم لو كنت معهم)، فقال سمعاً وطاعةً يا أمير المؤمنين[2]، فخرج علي عليه السلام حتى إذا جاز حد الكوفة صلىّ ركعتين.

## وصول علي عليه السلام إلى الرقة:

ثم سار أمير المؤمنين عليه السلام حتى أتى الرقّة -وجُلَّ أهلها العثمانية الذين فروا من الكوفة برأيهم وأهوائهم إلى معاوية- فغلّقوا أبوابها وتحصّنوا فيها، وكان أميرهم سماك بن مخرمة الأسدي في طاعة معاوية.

ولّما نزل عليٌ الرقّة نزل بمكان يقال له بليخ على جانب الفرات فنزل

---

(١) وقعة صفين، ابن مزاحم المنقري: ص١٢٧.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٣٢، ص٤٢٢.

راهب هناك من صومعته فقال لعلي عليه السلام: إنّ عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا كتبه أصحاب عيسى بن مريم، أعرضه عليك؟ قال عليّ عليه السلام: نعم فما هو؟ قال الراهب: (بسم الله الرحمن الرحيم، الذي قضى فيما قضى وسطر أنه باعث في الأميين رسولاً منهم يعلمهم الكتاب والحكمة، ويدلهم على سبيل الله، لا فظّ ولا غليظ، ولا صخّاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، أمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل نشز وفي كل صعود وهبوطً تذل ألسنتهم بالتهليل والتكبير والتسبيح، وينصره الله على كل من ناواه، فإذا توفّاه الله اختلفت أمته ثم اجتمعت فلبثت بذلك ما شاء الله ثم اختلفت، فيمر رجل من أمته بشاطئ هذا الفرات، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقضي بالحق ولا يرتشي في الحكم، الدنيا أهون عليه من الرماد في يوم عصفت به الريح، والموت أهون عليه من شرب الماء على الظماء، يخاف الله في السر، وينصح له في العلانية، ولا يخاف في الله لومة لائم، من أدرك ذلك النبي صلى الله عليه وآله من أهل هذه البلاد فآمن به كان ثوابه رضواني والجنة، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فإن القتل معه شهادة).

ثم قال له: فأنا مصاحبك غير مفارقك حتى يصيبني ما أصابك قال: فبكى عليّ عليه السلام ثم قال: (الحمد لله الذي لم يجعلني عنده منسياً، الحمد لله الذي ذكرني في كتب الأبرار، ومضى الراهب معه وكان - فيما ذكروا - يتغدّى مع عليّ عليه السلام ويتعشى حتى أصيب يوم صفين فلما خرج الناس يدفنون قتلاهم قال عليّ عليه السلام: اطلبوه فلما وجدوه صلى عليه ودفنه وقال: هذا منا أهل البيت واستغفر له مراراً)[1].

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج٢، ص٩٢.

ويُروى أنّ عليّاًعليه السلام قال لأهل الرقة: (أجسروا لي جسراً لكي أعبر من هذا المكان إلى الشام» فأبوا وقد كانوا ضموا السفن عندهم، فنهض من عندهم ليعبر على جسر منبج، وخلف عليه الأشتر، فناداهم فقال: يا أهل هذا الحصن إني أقسم بالله لئن مضى أمير المؤمنين ولم تجسروا له عند مدينتكم حتى يعبر منها لأجردنّ فيكم السيف ولأقتلنّ مقاتلتكم ولأخربنّ أرضكم ولآخذنّ أموالكم، فلقي بعضهم بعضاً فقالوا: إنّ الأشتر يفي بما يقول وإن علياً خلفه علينا ليأتينا منه الشر، فبعثوا اليه: إنا ناصبون لكم جسراً فأقبلوا، فأرسل الأشتر إلى علي فجاء ونصبوا له الجسر فعبر الأثقال والرجال ثم أمر الأشتر فوقف في ثلاثة آلاف فارس حتى لم يبق أحد من الناس إلاّ عبر، ثم إنه عبر آخر الناس رجلا)[١].

## القتال على الماء:

ومن خطبة لأمير المؤمنينعليه السلام لما غلب أصحاب معاوية أصحابهعليه السلام على الشريعة: (قَدِ اسْتَطْعَمُوكُمُ الْقِتَالَ، فَأَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّةٍ وتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ، أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرْوَوْا مِنَ الْمَاءِ، فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ، والْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ، أَلَا وإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَةً مِنَ الْغُوَاةِ، وعَمَّسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ، حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ)[٢].

ويروى أن بعض أصحاب أمير المؤمنينعليه السلام نادى عمرو بن العاص، قال: (ويحك يا ابن العاص خلّ بيننا وبين الماء، فوالله لئن لم تفعل ليأخذنا وإيّاكم السيوف، فقال عمرو: والله لا نخلّي عنه حتى تأخذنا السيوف

(١) وقعة صفين، ابن مزاحم المنقري: ص١٥١.

(٢) نهج البلاغة، تحقيق صالح: ص٨٩.

وإياكم، فيعلم ربنا أيّنا اليوم أصبر، فترجّل الأشعث والأشتر وذوو البصائر من أصحاب عليّ عليه السلام وترجّل معهما اثنا عشر ألفاً، فحملوا على عمرو ومن معه من أهل الشام، فأزالوهم عن الماء حتى غمست خيل عليّ عليه السلام سنابكها في الماء)[1].

فلما غلب عليّ عليه السلام على الماء وطرد عنه أهل الشام بعث إلى معاوية: (إنّا لا نكافيك بصنعك هلمَّ إلى الماء فنحن وأنتم فيه سواء)[2]، فأخذ كل واحد منهما بالشريعة مما يليه.

## إعلان الحرب:

فلما انسلخ المحرم واستقبل صفر، وذلك في سنة (٣٧هـ)، بعث عليّ عليه السلام نفراً من أصحابه حتى إذا كانوا من عسكر معاوية حيث يسمعونهم الصوت، قام مرثد بن الحارث الجشمي فنادى عند غروب الشمس يا أهل الشام، إنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يقولون لكم: (إنا والله ما كففنا عنكم شكاً في أمركم، ولا بقيا عليكم، وإنما كففنا عنكم لخروج المحرم، ثم انسلخ، وإنا قد نبذنا إليكم على سواء، إنّ الله لا يحب الخائنين، قال: فتحاجز الناس، وثاروا إلى أمرائهم)[3].

## تقييم معسكر معاوية:

روى نصر بن مزاحم بإسناده عن شيخ من بكر بن وائل، قال: (كنا مع

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٣٢، ص٤٤٢.

(٢) وقعة صفين، ابن مزاحم المنقري: ص١٩٣.

(٣) المصدر السابق: ص٢٠٣.

علي بصفين، فرفع عمرو بن العاص شقة خميصة سوداء في رأس رمح، فقال ناس: هذا لواء عقده له رسول الله ﷺ فلم يزالوا كذلك حتى بلغ علياً، فقال: هل تدرون ما أمر هذا اللواء؟ إنّ عدو الله عمرو بن العاص أخرج له رسول الله هذه الشقّة، فقال: (من يأخذها بما فيها)؟ فقال عمرو: ما فيها يا رسول الله؟ قال: (فيها أن لا تقاتل به مسلماً، ولا تقربه من كافر، فأخذها، فقد والله قربه من المشركين وقاتل به اليوم المسلمين، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أسلموا ولكن استسلموا، وأسرّوا الكفر، فلما وجدوا أعواناً رجعوا إلى عداوتهم منّا إلا أنهم لم يدعوا الصلاة)[١].

وروى بإسناده عن حبيب بن أبي ثابت قال: (لما كان قتال صفين قال رجل لعمار: يا أبا اليقظان: ألم يقل رسول الله ﷺ: قاتلوا الناس حتى يسلموا، فإذا أسلموا عصموا مني دماءهم وأموالهم»، قال: بلى ولكن والله ما أسلموا ولكن استسلموا، وأسرّوا الكفر حتى وجدوا عليه أعواناً)[٢].

## دور عمار بن ياسر في الحرب:

إن لعمار منزلة كبيرة عند النبي واله (صلوات الله عليهم) لمواقفه المشرفة في الإسلام، لذلك روي عن النبي ﷺ، أنه قال: (إنّ الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: عليّ وعمّار وسلمان)[٣].

وأنه ﷺ قال له: (إنك من أهل الجنة تقتلك الفئة الباغية)[٤].

---

(١) وقعة صفين، ابن مزاحم المنقري: ص٢١٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٣١، ص٢٠٢. سنن الترمذي، الترمذي: ج٥، ص٦٦٧.

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٣٣، ص٢٥. ومثله في صحيح مسلم: ج٨، ص١٨٦.

وتقدم عمّار في يوم صفين، فقاتل قتال الأبطال، ثم رجع إلى موضعه، فاستسقى وقد اشتد ظمؤه، فأتته امرأة من نساء بني شيبان من مصافهم بعسٍّ فيه لبن، فدفعته إليه، فقال: الله أكبر، الله أكبر، اليوم ألقى الأحبة تحت الأسنة، صدق الصادق، وبذلك أخبرني الناطق، وهو اليوم الذي وُعِدتُ فيه لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعمّار بن ياسر: (قتلك الفئة الباغية، وآخر شربة تشربها ضَياح من لبن)، ثم قال: أيها الناس، هل من رائح إلى الله تحت العوالي، والذي نفسي بيده لنقاتلنّهم على تأويله كما قاتلناهم على تنزيله، والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هَجَر لعلِمنا أنّا على الحق وهم على الباطل[1].

ثم حمل فتوسط القوم، واشتبكت عليه الأسنة وحمل عليه بن جون السكوني وأبو العادية الفزاري، فأما أبو العادية فطعنه، وأما ابن جون فإنه احتز رأسه، وكان قتله عند المساء وله ثلاث وتسعون سنة، وقبره بصفين وصلى عليه علي عليه السلام ولم يغسله.

## خدعة رفع المصاحف:

فلما رأى عمرو بن العاص أن أمر أهل العراق قد اشتد وخاف الهلاك قال لمعاوية: هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً ولا يزيدهم إلا فرقة؟ قال: نعم، قال: نرفع المصاحف ثم نقول لما فيها: هذا حَكَم بيننا وبينكم، فإن أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول: ينبغي لنا أن نقبل، فتكون فرقة بينهم، وإن قبلوا ما فيها رفعنا القتال عنا إلى أجل، فرفعوا نحو (٥٠٠) من المصاحف بالرماح، وقالوا: هذا حكم كتاب الله عزّ وجلّ بيننا وبينكم، مَن لثغور الشام بعد أهله؟ مَن لثغور العراق بعد أهله؟ ومَن

(١) راجع الاختصاص، الشيخ المفيد: ج١، ص١٤، ومروج الذهب، المسعودي: ج٢، ص٣٨١.

لجهاد الروم؟ ومَن للترك؟ ومَن للكفار؟

فلما رأى كثير من أهل العراق ذلك قالوا: نجيب إلى كتاب الله وننيب إليه، وأحبّ القوم الموادعة، وقيل لعلي: قد أعطاك معاوية الحق ودعاك إلى كتاب الله فاقبل منه، وكان أشدهم في ذلك اليوم الأشعث بن قيس، فقال علي عليه السلام: (أيها الناس،إنه لم يزل من أمركم ما أحبّ حتى قرحتكم الحرب،وقد والله أخذتُ منكم وتركتُ، وإني كنتُ بالأمس أميراً فأصبحت اليوم مأموراً، وقد أحببتم البقاء)، ثم قال عليّ عليه السلام: (ويحكم إنهم ما رفعوها لأنكم تعلمونها ولا يعلمون بها، وما رفعوها لكم إلا خديعة، ودهاء ومكيدة)، فقالوا له: إنه ما يسعنا أن نُدعى إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله، فقال عليه السلام: (ويحكم إنما قاتلتهم ليدينوا بحكم الكتاب، فقد عصوا الله فيما أمرهم به، ونبذوا كتابه، فامضوا على حقكم وقصدكم، وخذوا في قتال عدوكم، فإن معاوية وابن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وعددا غير هؤلاء ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، وأنا أعرَف بهم منكم صحبتهم أطفالا ورجالا فهم شر أطفال ورجال)[1].

فقال الأشعث: إنّ شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد، قال عليّ عليه السلام: (ذلك إليك فأته إنّ شئت)، فأتاه الأشعث فسأله، فقال له معاوية: نرجع نحن وأنتم إلى كتاب الله، وإلى ما أمر به في كتابه: تبعثون منكم رجلا ترضونه وتختارونه ونبعث برجل، ونأخذ عليهما العهد والميثاق أن يعملا بما في كتاب الله ولا يخرجا عنه، وننقاد جميعاً إلى ما اتفقا عليه من حكم الله، وصوّب الأشعث قوله وانصرف إلى علي عليه السلام، فأخبره بذلك، فقال أكثر الناس: رضينا وقبلنا

(١) مروج الذهب، المسعودي: ج٢، ص٣٩١.

وسمعنا وأطعنا، فاختار أهل الشام عمرو بن العاص، وقال الأشعث ومن ارتد بعد ذلك إلى رأي الخوارج: رضينا نحن بأبي موسى الأشعري، فقال علي عليه السلام: (قد عصيتموني في أول هذا الأمر فلا تعصوني الآن، إني لا أرى أن أُولّي أبا موسى الأشعري)، فقال الأشعث ومن معه: لا، نرضى إلا بأبي موسى الأشعري، قال علي عليه السلام: (ويحكم! هو ليس بثقة قد فارقني وخذّل الناس عنّي وفعل كذا وكذا، وذكر أشياء فعلها أبو موسى، ثم إنه هرب شهوراً حتى أمنته)، لكن الأشعث وأصحابه أصرّوا على اختيارهم فبعثوا إلى أبي موسى وكتبوا له القصة، وقيل لأبي موسى: إنّ الناس قد اصطلحوا، فقال: الحمد لله، قيل: وقد جعلوك حكما، قال: إنّا لله وإنّا اليه راجعون[1].

## قصة التحكيم:

جاء في حديث عمرو بن شمر قال: أقبل أبو موسى إلى عمرو فقال: يا عمرو هل لك في أمر هو للأمة صلاح، ولصلحاء الناس رضا نولي هذا الامر عبد الله بن عمر بن الخطاب الذي لم يدخل في شئ من هذه الفتنة ولا في هذه الفرقة قال: وكان عبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير قريبين يسمعان الكلام فقال عمرو: فأين أنت يا أبا موسى عن معاوية فأبى عليه أبو موسى فقال عمرو: ألست تعلم أن عثمان قتل مظلوما ومعاوية ولي عثمان وقد قال الله تعالى: ﴿**وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا**﴾[2]، ثم إن بيت معاوية في قريش ما قد علمت، وهو أخو أم حبيبة أم المؤمنين وزوج النبي صلى الله عليه وآله وقد صحبه وهو أحد الصحابة، ثم عرض له بالسلطان فقال له: إن هو ولي

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٣٢، ص٥٤٠.

(٢) سورة الإسراء: آية٣٣.

الأمر أكرمك كرامة لم يكرمك أحد قط بمثلها.

فقال أبو موسى: اتق الله يا عمرو، فإن هذا الأمر ليس على الشرف، إنما هو لأهل الدين والفضل، مع أني لو كنت أعطيته أفضل قريش شرفا لأعطيته علي بن أبي طالب.

وأما قولك إنه ولي عثمان فإني لم أكن أوليه إياه لنسبه من عثمان وادع المهاجرين الأولين.

وأما تعريضك لي بالامرة والسلطان، فوالله لو خرج لي من سلطانه ما وليته ولا كنت أرتشي في الله ولكنك إن شئت أحيينا سنة عمر بن الخطاب.

قال ابن ديزيل في كتاب صفين: أعطاه عمرو صدر المجلس وكان لا يتكلم قبله وأعطاه النقدم في الصلاة وفي الطعام لا يأكل حتى يأكل وإذا خاطبه فإنما يخاطبه بأجل الأسماء ويقول له: يا صاحب رسول الله حتى اطمأن إليه وظن أنه لا يغشه فلما انمخضت الزبدة بينهما قال له عمرو: أخبرني ما رأيك يا أبا موسى قال: أرى أن أخلع هذين الرجلين ونجعل الامر شورى بين المسلمين يختارون من يشاؤون!! فقال عمرو: الرأي والله ما رأيت.

فأقبلا إلى الناس وهم مجتمعون فتكلم أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن رأيي ورأي عمرو قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله به شأن هذه الأمة فقال عمرو: صدق ثم قال له: تقدم يا أبا موسى فتكلم.

فقام [أبو موسى] ليتكلم فدعاه ابن عباس فقال: ويحك والله إني لأظنه خدعك إن كنتما قد اتفقتما على أمر فقدمه قبلك ليتكلم به ثم تكلم أنت بعده فإنه رجل غدار ولا آمن أن يكون أعطاك الرضا فيما بينك وبينه فإذا قمت به

في الناس خالفك – وكان أبو موسى رجلا مغفلا – فقال: إيها عنك إنا قد اتفقنا.

فتقدم أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر شيئا هو أصلح لأمر هؤلاء ولا ألم لشعثها من أن لا يبين أمورها وقد اجتمع رأيي ورأي صاحبي على خلع علي ومعاوية وأن يستقبل هذا الامر فيكون شورى بين المسلمين يولون أمورهم من أحبوا وإني قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا أموركم وولوا من رأيتموه لهذا الامر أهلا، ثم تنحى.

فقام عمرو بن العاص في مقامه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبت صاحبي معاوية في الخلافة فإنه ولي عثمان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه.

فقال له أبو موسى: مالك لا وفقك الله قد غدرت وفجرت إنما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث وإن تتركه يلهث.

فقال له عمرو: إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا.

وحمل شريح بن هانئ على عمرو فقنعه بالسوط وحمل ابن لعمرو على شريح فقنعه بالسوط وقام الناس فحجزوا بينهما فكان شريح بعد ذلك يقول:

ما ندمت على شئ ندامتي أن لا أكون ضربت عمرا بالسيف بدل السوط لكن أتى الدهر بما أتى به.

والتمس أصحاب علي عليه السلام أبا موسى فركب ناقته ولحق بمكة فكان ابن عباس يقول: قبح الله أبا موسى لقد حذرته وهديته إلى الرأي فما عقل

وكان أبو موسى يقول: لقد حذرني ابن عباس غدرة الفاسق ولكن اطمأننت إليه وظننت أنه لا يؤثر شيئا على نصيحة الأمة[١].

## عدد قتلى صفين:

قال ابن أبي شيبة حدثنا محمد بن الحسن قال حدثنا حماد بن زيد عن هشام عن محمد بن سيرين قال: (بلغ القتلى يوم صفين سبعين ألفاً فما قدروا على عدهم إلا بالقصب وضعوا على كل إنسان قصبة ثم عدوا القصب)[٢].
وعن قتادة: (القتلى يوم صفين ستون ألفاً)، وقال ابن سيرين (سبعون ألفاً. وهو المذكور في أنساب الأشراف وضعوا على كل قتيل قصبة ثم عدوا القصب)[٣].

وعن نصر بن مزاحم: (وافترقوا على سبعين ألف قتيل في ذلك اليوم، وتلك هي ليلة الهرير المشهورة)[٤].

وقتل بصفين سبعون ألفاً: (من أهل الشام خمسة وأربعون الفاً، ومن أهل العراق خمسة وعشرون الفاً، وكان المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام، وقتل بها من الصحابة ممن كان مع علي خمسة وعشرون رجلًا: منهم عمار بن ياسر أبو اليقظان المعروف بابن سُمَية وهو ابن ثلاث وسبعين سنة)[٥].

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٣٣، ص٢٠٣.

(٢) المصنف، ابن شيبة: ج٨، ص٤٢٧.

(٣) راجع بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٢٢، ص٩٨٥.

(٤) المصدر السابق: ج٢٢، ص٧٢٥.

(٥) مروج الذهب، المسعودي: ج٢، ص٣٥٢ .

## خاتمة المطاف:

وأخيراً تمّ الاتفاق بين الفريقين على التحكيم، الأمر الذي كان يحذّر منه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، لكنه لم يجد بداً أمام إصرار أهل العراق.

وكان فيما كتب في الصحيفة أن يحيي الحكمان ما أحيى القرآن ويميتا ما أمات القرآن ولا يتبعان الهوى، ولا يداهنان في شيء من ذلك، فإن فعلا فلا حكم لهما، والمسلمون من حكمهما براء، وقال عليّ عليه السلام للحكمين حين أكره على أمرهما: (على أن تحكما بما في كتاب الله، وكتاب الله كله لي، فإن لم تحكما بما في كتاب فلا حكم لكما).

ولما وقع التحكيم تباغض القوم جميعاً واقبل بعضهم يتبرأ من بعض: يتبرأ الأخ من أخيه، والابن من أبيه، وأمر عليٌ بالرحيل، لعلمه باختلاف الكلمة، وتفاوت الرأي، وعدم النظام لأمورهم، وما لحقه من الخلاف منهم وكثر التحكيم في جيش أهل العراق، وتضارب القوم بالمقارع ونعال السيوف وتسابوا، ولام كل فريق منهم الآخر في رأيه، وسار علي يؤم الكوفة ولحق معاوية بدمشق من أرض الشام، وفرق عساكره فلحق كل جند منهم ببلده[1].

---

(١) مروج الذهب، المسعودي: ج٢، ص٤٠٥.

# معركة النهروان

عن النبي صلى الله عليه وآله: (يا علي ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين)[1].

إن المتصفح لتاريخ الحركات الإصلاحية سواء كانت من قِبل الأنبياء والمرسلين أو من غيرهم، يجد أن هناك تفاوتاً فيما بينها من حيث تحقيق أهدافها، ولعل هذا التفاوت ناشئ من جهة المجتمع الذي قامت فيه، ومدى تقبل ذلك المجتمع لها من حيث إيمان الأفراد بمبادئها وقيمها وهذا هو المهم الإيمان بالهدف والفكر ـ لأنه هو الذي يصنع النجاح والاستمرارية للحركة، وكلما كان الإيمان بالفكرة والهدف كبيراً كلما كان النجاح مضموناً، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى نلاحظ أن درجة الإيمان بين الأتباع متفاوتة فهناك من يكون في أعلى مستوى من الإيمان وهناك من يكون في أدنى مستوى، كما نجد أن هناك من يُعدّ من الأتباع والمناصرين إلا أنه لا يحمل من أهداف الحركة ومبادئها شيئاً وإنما له أهدافه الخاصة غير أنه وجد المصلحة في هذا العمل، كما نجد أن هناك من هو في ضمن الأتباع إلا أنه يعمل لفئة أخرى مباينة لهذه الحركة.

وبعبارة أخرى إن إيمان الأتباع يشكل عنصراً وعاملاً مهماً في نجاح

(١) الخصال، الشيخ الصدوق: ص٥٧٤.

واستمرارية الحركة وصيانتها، وعلى مدى التأريخ نجد أن هناك من بقي ثابتاً وملتزماً بمبادئ حركة المصلحين، وهناك من غيّر وبدّل وانحرف عن المسار الصحيح لها بعد وفاة أو استشهاد أو غياب قائد الحركة، سواء كان من الأنبياء والرسل أم من غيرهم، ومرجع ذلك إلى مدى إيمان الأتباع وانصهارهم في قيم ومبادئ هذه الحركة، فمثلاً نجد أن قسماً من قوم موسى عليه السلام بدلوا وغيروا بعد غياب نبيهم موسى عليه السلام عنهم لأيام ولم ينصاعوا لمن خَلَّفه عليهم وأمرهم بطاعته: ﴿...**وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ* فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي**﴾[(١)]، وكذلك نجد فئة من قوم عيسى المسيح عليه السلام غيروا وانحرفوا عن المسار الصحيح الذي أرساه لهم نبيهم عيسى عليه السلام فبعد أن روّج الأعداء قتل عيسى عليه السلام وأقنعوهم بذلك لم يبق منهم إلا القليل فقد انحرف مسار الحركة التصحيحية للمسيح عن المسار المرسوم له، قال تعالى: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ* كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾[(٢)].

والأمة الإسلامية لم تكن بمعزل عن هذا الشيء فقد شملتها هذه السنة أيضاً، ولم ينفع تحذير النبي صلى الله عليه وآله للأمة من الانحراف والانجرار والتبديل، فنجد أنه لم يدخر وسعاً في هذا المجال فكان دائم التوجيه والبيان للأمة من أن تكون شبيهة للأمم السالفة، فكانت معظم جهوده مركزة على صنع رجال

---

(١) سورة طه: آية٨٥-٨٦.

(٢) سورة المائدة: آية٧٨-٧٩.

يحملون المسؤولية ويصمدون أمام التحديات والشبهات التي يثيرها الأعداء والمنافقين، فكان يحذر من الانقسام وإتباع الهوى والانقلاب على الأعقاب، كما أوضح ذلك جلياً القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ**﴾[١].

وكان يبين للأمة الإسلامية أن عليها اختيار ما اختاره لهم الله تعالى كما في قوله سبحانه: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً**﴾[٢]، وأوضح ذلك بعدة مناسبات كقوله: (إن أمة موسى افترقت إحدى وسبعين فرقه، فرقة ناجية والباقون في النار، وإن أمة عيسى افترقت اثنين وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون في النار، وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون في النار)، وقوله: (لتتبعن سنن مَن كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه! قالوا: فاليهود والنصارى يا رسول الله؟ قال فمن إذن؟!)[٣]، ولم يكتف بالتحذير عن الانحراف والانقلاب فقط بل سد الطريق أمام الانقسام والانحراف بخطوات عملية مهمة، ذلك أنه نصب وعيّن بأمر من الله تعالى القيادة من بعده بأمر لا يشوبه الغموض، ابتداءا من نزول الوحي واستمر إلى قرب أجله، منها حديث الدار: (إن هذا أخي، ووصي، وخليفتي فيكم، فاسمعوا

---

(١) سورة آل عمران: آية١٤٤.

(٢) سورة الأحزاب: آية٣٦.

(٣) الرسائل العشر، الشيخ الطوسي: ص١٢٧.

له وأطيعوا)[١]، ومنها قوله لبعض القبائل عندما دعاهم إلى الإسلام فأرادوا الأمر من بعده لهم، حيث ردهم قائلاً: (الأمر لله يضعه حيث يشاء)، ومنها وصيته للمسلمين في غزوة بني قريظة، وغيرها الكثير الكثير وختمها حين طلب من المسلمين آنذاك كتفاً ودواة، قال ابن عباس: يوم الخميس وما يوم الخميس؟! يوم أشتد برسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وجعه فقال: (إيتوني بدواة وبياض أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعد أبداً)[٢]، فتنازعوا – ولا ينبغي عند نبيّ تنازع – فقال عمر: إنّ النبيّ يهجر – وفي حديث آخر: (إنّه ليهجر)، وفي ثالث: (إنّه هجر) – ثمّ قال: عندنا القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف مَن في البيت، واختصموا فمن قائل يقول: القول ما قال رسول الله، ومن قائل يقول: القول ما قال عمر، فلمّا أكثروا اللغط واللغو، وتمادى القوم في نزاعهم، غضب رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فقال: (قوموا عني، لا ينبغي عند نبيّ تنازع)، فقاموا، فكان ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعد ذلك يقول: (الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب، لولا مقالته – يعني مقالة عمر – لكتب لنا كتاباً لم تختلف أمته بعده ولم تفترق)، ولعل حالة المجتمع من عدم رسوخ الإيمان بالإسلام عند البعض وعدم الوضوح في الرؤية واحدة من المصائب التي منيّ بها الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلم يكن المجتمع آنذاك ينظر إلى الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه إمام مفترض الطاعة، وهذا يتضح جداً إذا ما عرفنا أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ كان ينهى عن أمور مبتدعة فلا يطاع، كما هو الحال في نهيه عن صلاة التراويح المبتدعة[٣]، فقد روى البخاري عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن

(١) كنز العمال، المتقي الهندي: ج١٥، ص١١٥.

(٢) مسند أحمد، ابن حنبل: ج١، ص٣٥٥.

(٣) روضة المتقين، العلامة المجلسي: ج٩، ص٣٢٤.

عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر: نعم البدعة هذه![1]. فاعترف كما ترى بأنها بدعة، وقد شهد الرسول صلى الله عليه وآله أن كل بدعة ضلالة، وقد روي أن أمير المؤمنين عليه السلام لما اجتمعوا إليه بالكوفة فسألوه أن ينصب لهم إماماً يصلي بهم نافلة شهر رمضان، زجرهم وعرفهم أن ذلك خلاف السنة فتركوه واجتمعوا لأنفسهم وقدموا بعضهم فبعث إليهم ابنه الحسن عليه السلام فدخل عليهم المسجد ومعه الدرة فلما رأوه تبادروا الأبواب وصاحوا (وا عمراه!)، فأنت تلاحظ أن هؤلاء لو كان لديهم عمق إيماني ومعرفة بحقوق الإمام عليه السلام وأنه منصب من قِبل الله تعالى لما كان هذا فعلهم.

## ظهور الخوارج:

إن ظهور الخوارج في مناسبة حرب صفين لم يكن أمراً عفوياً، وليد ساعته، وإنما كان ثمة أجواء ومناخات، وكذلك عوامل وأسباب ساعدت على ظهورهم.

والخوارج فرقة ظهرت في النصف الأول، من القرن الأول الهجري، وبالتحديد في مناسبة حرب صفين التي كانت في سنة٣٧هـ، والتي دارت رحاها بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، الخليفة الشرعي بكل ما لهذه الكلمة من معنى، من جهة، وبين معاوية بن أبي سفيان، الرجل الباغي الذي

(١) صحيح البخاري، البخاري: ج٢، ص٢٥٢.

كان يحاول الاستئثار بأمر الأمة لنفسه، من جهة أخرى، وكان ظهورهم -العلني- بعد خدعة رفع المصاحف في تلك الحرب، من قبل جيش معاوية، بمشورة من عمرو بن العاص، بعد أن اتضح بما لا يقبل الشك حتمية هزيمة جيش الشام، لو استمرت الحرب، وقد أحدثت هذه الخدعة زلزالاً في جيش الإمام علي عليه السلام، حيث أدت إلى إجابة أكثر ذلك الجيش إلى حكم المصحف - على حد تعبيرهم - وبقي عليه السلام مع أهل بيته (صلوات الله وسلامه عليهم) في عدة يسيرة، يواجهون تهديدات أولئك الانفصاليين بنفس المستوى أو أشد من التهديد الذي كان يواجههم به جيش أهل الشام، ولم يكن يحق له عليه السلام أن يلقي بهذه الصفوة إلى التهلكة، كما ذكره عليه السلام في احتجاجه على الخوارج حين قال لهم: (.. وأما قولكم: إني لم أضربكم بسيفي يوم صفين، حتى تفيئوا إلى أمر الله، فإن الله عز وجل يقول: ﴿**وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾، وكنتم عدداً، وأنا وأهل بيتي في عدة يسيرة)[1].

## موقف الإمام عليه السلام من الخوارج:

عالج أمير المؤمنين عليه السلام قضية الخوارج بحكمة ومرونة، ثم بحزم وبحسم ايضاً، حيث حاول أولاً أن يقنعهم بخطأهم في تصوراتهم ومواقفهم، فناقشهم ووعظهم هو وأصحابه: ابن عباس وغيره، وأقاموا عليهم الحجة، حتى رجع منهم الألوف.

ويلاحظ هنا: أنه عليه السلام ينهى ابن عباس عن أن يخاصمهم بالقرآن، فإن القرآن حمال ذو وجوه، ولكن يخاصمهم بالسنة، فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً.

---

(١) تأريخ اليعقوبي، اليعقوبي: ج٢، ص١٩٢.

كما أنه هو نفسه قد التزم بذلك إلى حدٍ كبير، حيث نجده يهتم بأن يحتج عليهم بأقوال النبيصلى الله عليه وآله وأعماله بالدرجة الأولى، فاحتج عليهم بأنهصلى الله عليه وآله قد رجم الزاني ثم صلى عليه وورثه أهله، وقتل القاتل كذلك، وقطع السارق وجلد الزاني غير المحصن، ثم قسم عليهما من الفييء، ونكحا المسلمات، فأخذهمصلى الله عليه وآله بذنوبهم، ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام ولا أخرج أسماءهم من بين أهله.

واحتج عليهم أيضاً بمن النبيصلى الله عليه وآله على أهل مكة فلم يسب نساءهم ولا ذريتهم، وبمحوهصلى الله عليه وآله كلمة: (رسول الله) من صحيفة الحديبية، وبإعطائه النصفة لأهل نجران، حيث قال: (ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) وبتحكيمه سعد بن معاذ في بني قريظة الذين نقضوا العهد.

ولكن.. رغم كل تلك المحاولات والمواعظ والاحتجاجات، ورغم رجوع الألوف منهم عن غيهم، فقد بقيت بقيّة حوالي أربعة آلاف أبو إلا البقاء على ما هم عليه، ومحاربته، وقتلوا الأبرياء، حتى النساء، وأخافوا السبيل، وأفسدوا في الأرض، فاضطرعليه السلام لمحاربتهم لدفع شرهم، وإخماد نار فتنتهم، فحاربهم، وقتلهم، ولم يفلت منهم إلا أقل من عشرة كما لم يستشهد من أصحابه إلا أقل من عشرة، كما أخبر به عليه السلام قبل ذلك.

ويقول المؤرخون: إن الذين أفلتوا من القتل قد اصبحوا بذرات أخرى للخوارج في مناطق عديدة فيما بعد.

وأما أولئك الذين استأمنوا، فقد صاروا يخرجون على عليعليه السلام وعلى غيره بعد ذلك، فخرج منهم ألفان على الإمام في النخيلة فقضى عليهم. ثم صار الخوارج يخرجون عليه في شراذم قليلة في بضعة مئات او أقل أو أكثر

في الأنبار، وماسبذان، وجرجرايا، والمدائن، وسواد الكوفة، فكان يقضي على حركاتهم تلك الواحدة تلو الأخرى بيسر وسهولة.

## قصة معركة النهروان:

استمرَّ الخوارج المارقون في غيِّهم، وأشتدَّ خطرهم بانضمام أعداد جديدة لمعسكرهم، وراحوا يُعلنون القول بشرك معسكر الإمام عليه السلام، ورأوا استباحة دمائهم، ولكن الإمام عليه السلام لم يتعرض لهم، وأعطاهم الفرصة عَسى أن يعودوا إلى الرأي السديد.

غير أنَّهم بدأوا يشكِّلون خطراً حقيقياً على دولة الإمام عليه السلام من الداخل، وبدأ خطرهم يتعاظم عندما قتلوا الصحابي الجليل عبد الله بن خباب رضي الله عنه، وبقروا بطن زوجته وهي حامل، وقتلوا نساءً من قبيلة طي.

فأرسل إليهم الإمام عليه السلام الصحابي الحارث بن مُرَّة العبدي، لكي يتعرَّف إلى حقيقة الموقف، غَير أنَّهم قتلوه كذلك .

فلما عَلم الإمام عليه السلام بالأمر، تقدَّم نحوهم بجيش من منطقة الأنبار، وبذل مساعيه من أجل إصلاح الموقف دون إراقة الدماء، فبعث إليهم أن يرسلوا إليه قتلة عبد الله بن الخباب، والحارث العبدي، وغيرهما، وهو يكفُّ عنهم، ولكنَّهم أجابوه أنهم كُلّهم قاموا بالقتل.

فأرسل الإمام عليه السلام إليهم الصحابي قيس بن سعد، فوعظهم وحذَّرهم، وطالبهم بالرجوع عن جواز سفك دماء المسلمين وتكفيرهم دون مُبرِّرٍ مقنع. وتابع الإمام عليه السلام موقفه الإنساني، فأرسل إليهم أبا أيوب الأنصاري، فوعظهم ورفع راية ونادى: مَنْ جاء تحت هذه الراية -مِمَّن لم يقتل- فهو آمن،

ومن انصرَفَ إلى الكوفة أو المدائن فهو آمن لا حاجة لنا به، بعد أن نُصيبَ قَتَلَة إخواننا.

وقد نجَحَت المحاولة الأخيرة نجاحاً جزئياً، حيث تفرَّق منهم أعداد كبيرة، ولم يبقَ إلا أربعة آلاف معاند، فقاموا بالهجوم على جيش الإمامعليه السلام، فأمر الإمامعليه السلام أصحابه بالكَفِّ عنهم حتى يبدءوا بالقتال.

فلما بدءوا بقتال جيش الإمامعليه السلام شَدَّ عليهم الإمام عليعليه السلام بسيفه ذي الفقار، ثم شَدَّ أصحابُه فأفنوهم عن آخرهم، إلاَّ تسعة نفر فرُّوا، وتحقَّق الظفر لراية الحق، وكان ذلك في التاسع من صفر سنة (٣٨هـ)[١].

## قتلى الخوارج:

إن عدد الخوارج الذين قتلوا في النهروان كان يتراوح بحسب اختلاف المصادر ما بين الألف وخمسمئة قتيل، وعشرة آلاف، ورقم الأربعة آلاف هو المرجح من بين تلك الأقوال لدى عدد من المؤرخين[٢].

ويقول المؤرخون: (فاختلط القوم، فلم تكن إلا ساعة حتى قتلوا بأجمعهم، وكانوا أربعة آلاف فما فلت منهم إلا تسعة نفر، فهرب منهم رجلان إلى خراسان، إلى أرض سجستان، وفيها نسلهما إلى الساعة، ورجلان صارا إلى بلاد الجزيرة، إلى موضع يقال له سوق التوريخ، وإلى شاطئ الفرات، فهناك نسلهما إلى الساعة، وصار رجل إلى تلّ يقال له: تل موزن)[٣].

---

(١) الإيضاح، الفضل بن شاذان: ج١، ص٤٩.

(٢) علي والخوارج، السيد جعفر مرتضى العاملي: ج١، ص١٧١.

(٣) الفتوح، ابن أعثم الكوفي: ج٤، ص١٣٢.

وقد ظهر صدق ما أخبر به علي أمير المؤمنين عليه السلام حيث لم ينج من خوارج النهروان إلا أقل من عشرة، فقيل: أربعة، وقيل: خمسة، وقيل: تسعة، وقيل: إن الذين أفلتوا كانوا عشرة، وقيل غير ذلك[1].

## مقتل ذي الثدية:

(روى جماعة أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يحدّث أصحابه قبل ظهور الخوارج أن قوماً يخرجون يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية علامتهم رجل مخدج اليد، سمعوا ذلك منه مراراً، فلما خرج أهل النهروان سار عليه السلام بهم إليهم، وكان منه معهم ما كان، فلما فرغ أمر أصحابه أن يلتمسوا المخدج، فالتمسوه فقال بعضهم ما نجده حتى قال بعضهم ما هو فيهم وهو يقول والله إنه لفيهم والله ما كذبت ولا كذبت ثم إنه جاءه رجل فبشره فقال يا أمير المؤمنين قد وجدناه وقيل بل خرج علي في طلبه قبل أن يبشره الرجل ومعه سليم بن ثمامة الحنفي والريان بن صبرة فوجدوه في حفرة علي شاطئ النهر في خمسين قتيلا فلما استخرجه نظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع كثدي المرأة وحلمة عليها شعرات سود فإذا مدت امتدت حتى تحاذي يده الطولي ثم تترك فنعود إلى منكبيه. فلما رآه قال الله أكبر ما كذبت ولا كذبت لولا أن تتكلوا عن العمل لأخبرتكم بما قص الله عليَّ لسان نبيه لمن قاتلهم مستبصرا في قتالهم عارفا للحق الذي نحن عليه.

وقال حين مر بهم وهم صرعى بؤسا لكم لقد ضركم من غركم قالوا يا أمير المؤمنين من غرهم قال الشيطان وأنفس أمارة بالسوء غرتهم بالأماني

---

(١) راجع الفتوح، ابن أعثم الكوفي: ج٤، ص١٣٢، ومروج الذهب، المسعودي: ج٢، ص٤٠٦، واثبات الوصية، المسعودي: ص١٤٧، والكامل في الأدب، المبرد: ج٣، ص٢٣٧.

وزينت لهم المعاصي ونبأتهم أنهم ظاهرون.

قيل وأخذ ما في عسكرهم من شيء فأما السلاح والدواب وما شهر عليه فقسمه بين المسلمين وأما المتاع وأما الإماء والعبيد فإنه رده عليه السلام على أهله حين قدم)[١].

## شهداء أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام:

مع الاتفاق على أن شهداء أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام في النهروان كان عددهم تسعة، إلا أنهم ذكروا أسماء ستة منهم فقط.

وقد سمى ابن أعثم الذين استشهدوا في النهروان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وهم:

١- رويبة بن وبر البجلي. وعند ابن شهر آشوب في موضع آخر: رؤبة.

٢- عبدالله بن حماد الحميري وعند ابن شهر آشوب: الأرحبي.

٣ - رفاعة بن وائل الأرحبي.

٤- كيسوم بن سلمة الجهني.

٥- حبيب بن عاصم الأزدي.

وفي موضع عند ابن شهر آشوب: خب بن عاصم الأسدي.

٦- عبدالله بن عبيد الخولاني إلى تمام التسعة وعند ابن شهر آشوب عبيد بن عبيد الخولاني.

فلم يقتل من أصحاب علي عليه السلام سوى أولئك التسعة[٢].

---

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ج٣، ص ٣٤٨.

(٢) الفتوح، ابن أعثم الكوفي: ج٤، ص١٢٧.

## خطبة الإمام علي عليه السلام في النهروان:

بعد أن حمد الله وأثنى عليه قال عليه السلام: (أيّها الناس أمّا بعد لم يكن ليفقأها (الفتنة) أحد غيري، ولو لم أك بينكم ما قوتل أصحاب الجمل وأهل النهروان، وأيم الله لو لا أن تنكلوا وتدعوا العمل لحدّثتكم بما قضى الله على لسان نبيّكم صلى الله عليه وآله لمن قاتلهم مبصراً لضلالتهم عارفاً للهدى الذي نحن عليه).

ثمّ قال عليه السلام: (سلوني قبل أن تفقدوني، إنّي ميّت أو مقتول بل قتلاً، ما ينتظر أشقاها أن يخضبها من فوقها بدم)، وضرب بيده إلى لحيته، (والذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تضلّ مائة أو تهدي مائة إلاّ أنبأتكم بناعقها وسائقها).

فقام إليه رجل فقال: حدّثنا يا أمير المؤمنين عن البلاء، قال عليه السلام: (إنّكم في زمان إذا سأل سائل فليعقل، وإذا سُئل مسئول فليثبت، ألا وإن من ورائكم أُموراً أتتكم جللاً مزوّجاً، وبلاءً مكلحاً مبلحاً، والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، إن لو فقدتموني ونزلت كرائة الأُمور وحقائق البلاء، لقد أطرق كثير من السائلين، وفشل كثير من المسئولين، وذلك إذا قلصت حربكم وشمّرت عن ساق، وكانت الدنيا بلاء عليكم وعلى أهل بيتي، حتّى يفتح الله لبقية الأبرار، فانصروا قوماً كانوا أصحاب رايات يوم بدر ويوم حنين، تنصروا وتؤجروا، ولا تسبقوهم فتصرعكم البلية).

فقام إليه رجل آخر فقال: يا أمير المؤمنين حدّثنا عن الفتن، قال عليه السلام: (إنّ الفتنة إذا أقبلتْ شبّهتْ، وإذا أدبرتْ نبّهتْ، يشبّهنَ مقبلات ويعرفنَ مدبرات، إنّ الفتن تحوم كالرياح، يُصِبْنَ بلداً ويُخطِئنَ أُخرى، ألا إن أخوف

الفتن عندي عليكم فتنة بني أُمية، إنّها فتنة عمياء، مظلمة مطينة، عمت فتنتها وخصت بليتها، وأصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها، يظهر أهل باطلها على أهل حقّها، حتّى تملأ الأرض عدواناً وظلماً وبدعاً، ألا وإن أوّل من يضع جبروتها ويكسر عمدها وينزع أوتادها الله ربّ العالمين .

وأيم الله لتجدن بني أُمية أرباب سوء لكم بعدي كالناب الضَروس، تعضّ بفيها، وتخبط بيديها، وتضرب برجليها، وتمنع درّها، لا يزالون بكم حتّى لا يتركوا في مصركم إلاّ تابعاً لهم أو غير ضار، ولا يزال بلاؤهم بكم، حتّى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلاّ مثل انتصار العبد من ربّه، إذا رآه أطاعه، وإذا توارى عنه شتمه.

وأيم الله لو فرّقوكم تحت كلّ حجر لجمعكم الله لشرّ يوم لهم، ألا إنّ من بعدي جماع شتّى، ألا إنّ قبلتكم واحدة، وحجّكم واحد، وعمرتكم واحدة، والقلوب مختلفة)، ثمّ أدخل أصابعه بعضها في بعض .

فقام رجل إليه فقال: ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال‏عليه السلام: (هذا هكذا يقتل هذا هذا، ويقتل هذا هذا، قطعاً جاهلية ليس فيها هدى ولا علم يرى، نحن أهل البيت منها بمنجاة ولسنا فيها بدعاة).

فقام رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما نصنع في ذلك الزمان ؟ قال‏عليه السلام: (انظروا أهل بيت نبيّكم، فإن لبدوا فالبدوا، وإن استصرخوكم فانصروهم تؤجروا، فلا تسبقوهم فتصرعكم البلية).

فقام رجل آخر فقال: ثمّ ما يكون بعد هذا يا أمير المؤمنين، قال‏عليه السلام: (ثمّ إنّ الله تعالى يفرّج الفتن برجل منّا أهل البيت كتفريج الأديم، بأبي ابنُ

خيرة الإماء، يسومهم خسفاً، ويسقيهم بكأس مصبرة، فلا يعطيهم إلاّ السيف هرجاً هرجا، يضع السيف على عاتقه ثمانية أشهر، ودّت قريش عند ذلك بالدنيا وما فيها، لو يروني مقاماً واحداً قدر حلب شاة أو جزر جزور لأقبل منهم بعض الذي يرد عليهم، حتّى تقول قريش: لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا، فيغريه الله ببني أُمية فيجعلهم **﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾**)[١][٢].

## النبي صلى الله عليه وآله يخبر بالمارقين:

روي عن أبي كثير مولى الأنصار، قال: كنت مع سيدي، علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث قتل أهل النهروان، فقال علي عليه السلام: (يا أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد حدثنا بأقوام يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، ثم لا يرجعون فيه أبداً، حتى يرجع السهم على فوقه، وإن آية ذلك: أن فيهم رجلاً أسود، مخدج اليد، أحد ثدييه كثدي المرأة، لها حلمة كحلمة ثدي المرأة، حوله سبع هلبات، فالتمسوه فإني أراه فيهم، فالتمسوه، فوجدوه إلى شفير النهر، تحت القتلى، فأخرجوه، فكبر الإمام علي عليه السلام، فقال: الله أكبر، صدق الله ورسوله، وإنه لمتقلد قوساً له، عربية، فأخذها بيده، فجعل يطعن بها في مخدجيه، ويقول: صدق الله ورسوله، وكبر الناس حين رأوه، واستبشروا، وذهب ما كانوا يجدون)[٣].

---

(١) سورة الأحزاب: آية٦٢.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٣٣، ص٣٦٦.

(٣) مسند أحمد، ابن حنبل: ج١، ص٨٨.

# واقعة الحرة

لقد حكم يزيد بن معاوية ثلاث سنين، وخلال هذه المدّة إرتكب الكثير من الجرائم، ففي السنة الأُولى قتل الإمام الحسينعليه السلام وأهل بيته وأصحابه في كربلاء، وفي السنة الثانية أباح المدينة المنوّرة بجيش مسلم بن عقبة، حيث قتل فيها أولاد المهاجرين والأنصار، وأكثر فيها السفك والهتك، وفي السنة الثالثة أمر برمي الكعبة المشرّفة بالمنجنيق حتّى احترقت أستار الكعبة.

فبعد معركة الطف الأليمة والصدمة الدموية التي صُدمت بها الأمة الإسلامية بفقد سيد شباب أهل الجنة وأهل بيته وصحبه وسبي نسائه، بدأ الشعور بالذنب يتنامى بين الناس، فكان الندم حليفهم حتى تُرجم ذلك الإحساس بتنظيمات معارضة ضد حكومة يزيد والقيام بكثير من الثورات والحركات، منها ثورة أهل المدينة التي عرفت فيما بعد بواقعة الحَرة وقد حدثت بعد واقعة الطف، أي في سنة ٦٣هـ.

وهي حدث مرير ومحزن للغاية، وأمر ثقيل جداً وتعد حقيقة من فجائع التاريخ، وواحدة من أبشع الحوادث في عهد بني أمية، كتب عنها بن مُسكويه قائلاً: (واقعه الحرّة من أشد وأصعب الحوادث عنفاً). وكان سبب ثورة أهل المدينة هو ذهاب عدة منهم إلى الشام بقيادة عبد الله بن حنظلة الأنصاري -الذي يُعرف أبوه بغسيل الملائكة- على أثر الأخبار

التي وردت إلى المدينة المنوّرة والتي تتحدّث عن استهانة يزيد بالإسلام والمسلمين، فذهبوا إلى مقرّ الحكومة في الشام، واطّلعوا على أعمال يزيد عن قرب، ورأوا بأعينهم ما يقوم به من هتك لحرمة الإسلام والمسلمين، وشربه الخمر ولعبه القمار وملاعبته للكلاب والقردة.

ولمّا عادوا إلى المدينة نقلوا لأهلها ما شاهدوه في الشام وحدّثوا أهلها بفساد البلاط الأموي، وأخذوا يحثّون الناس على الثورة والتمرّد على يزيد، فوقف عبد الله بن حنظلة أمام أهل المدينة وخاطبهم: (فو الله ما خرجنا على يزيد حتّى خفنا أن نُرمى بالحجارة من السماء، إنّه رجل ينكح الأُمّهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة)[1]، وكان عبد الله بن حنظلة شريفاً فاضلاً عابداً استفاد من موقعه الاجتماعي بين الناس في دعوتهم للالتحاق به والالتحام معه لمحاربة يزيد وبني أمية، وانتخبه أهل المدينة المنورة حاكما عليهم، وبايعوه في اليوم الأول من شهر محرم الحرام عام ٦٣هـ، وطردوا عثمان بن محمد بن أبي سفيان، حاكم المدينة المنورة وعامل يزيد فيها، ثم أُلقي القبض على بني أمية والقريشيين المتفقين مع بني أمية، وأعدادهم تصل إلى الألف، فحُبسوا في بيت مروان بن الحكم، ثم أرسل حاكم المدينة المنورة قميصه الممزق قطعة قطعة إلى يزيد، وبعث له برسالة كتب فيها: (استصرخنا فلقد أخرج أهل المدينة المنورة أهلنا منها).

لما وصل هذا الخبر إلى يزيد، أرسل إلى المدينة المنورة رجلاً يدعى مسلم بن عقبة يقود جيشاً جرّاراً، وقد كان متعطشاً للدماء لا يرحم، وأمره بقمع الاضطرابات في المدينة المنورة، وعلى رغم أنه كان طاعناً في السن،

---

(١) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٢٧، ص٤٢٩.

قد ناهز عمره التسعين عاماً، إلا أنه قَبِل هذه المهمة، وأمرت الحكومة أن ينادى: تعبّأوا أيها الناس لقتال أهل الحجاز وخذوا عطاءكم، فكان كل من يتعبأ ويستعد، يعطى له مائة دينار في نفس الوقت، فلم تمض إلا فترة قصيرة حتى اجتمع حوالي اثني عشر ألف رجلٍ، وفي رواية أخرى: أنه قاد (٢٠) ألف فارسٍ وسبعة آلاف راجلٍ، وأعطى يزيد جائزة مائة دينار لكل فارس ومائة دينار لكل راجل، وأمرهم أن يلتحقوا بمسلم بن عقبة، وساير يزيدُ مسلمَ بن عقبة وجيشه حوالي فرسخاً ونصفاً، ثم رجع، وكان بين الجيش من المسيحيين الشاميين أيضاً، كانوا قد استعدوا لحرب أهل المدينة المنورة، وأوصى يزيدُ مسلمَ بن عقبة في ما يخص أهل المدينة المنورة فقال: ادع القوم ثلاثاً، فإن رجعوا إلى الطاعة فاقبل منهم وكُفَّ عنهم، وإلا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا ظهرتَ عليهم، فأَبِحْ المدينة ثلاثاً، ثم أكفف عن الناس، وخذ البيعة من الناس، أن يكونوا عبيداً قناً ليزيد، ومتى ما خرجت من المدينة المنورة فاتجه نحو مكة.

فقَدِم المدينة ونزل (حَرَّة واقـم) - إحدى حَرّتي المدينة، وهي الشرقية، سميت باسم رجل من العماليق اسمه (واقم) نزلها في الدهر الأول، والمدينة تقع بين حرتين، (حرة واقم) و(حرة ليلى)-، و(الحرّة) في اللغة: الأرض المحصّبة وذات التضاريس الصخرية الغير متكافئة، وتحتوي على صخور سوداء وكأنّها محروقة، واجتيازها صعب للغاية، فأخذت الواقعه اسمها من هذه المنطقة، حيث هاجم الجيش الشامي الذي يمثل حكومة يزيد، المدينة المنورة من الضلع الشرقي لها، يعني من الجهة المحصبة المليئة بالتضاريس والصخور.

وكان من غير المحتمل أن يشن جيش الشام هجومه من الجهة الوعرة والصخرية التي تقع في الضلع الشرقي من المدينة المنورة، أو يحققوا شيئاً إن شنوا هجومهم من تلك الجهة، لكن غزو الجيش بدأ من تلك المنطقة على أهل المدينة المنورة، وأخيراً، مُنيَ أهل المدينة المنورة بالهزيمة، وانتصر جيش مسلم بن عقبة، فدخل جيشه إلى المدينة المنورة، وأعملوا فيهم السيف، ثم قاموا بجرائم بشعة يندى منها الجبين، من اغتصاب للنساء وقتل للأطفال والشيوخ وبقر لبطون الحوامل.

وفعل مسلم بن عقبة (كما أمره يزيد بن معاوية)، فبعد أن دخل جيش الشام إلى المدينة المنورة قال: لكم أن تفعلوا ما تشاؤون، فأغاروا على المدينة ثلاثة أيام وأبيحت المدينة المنورة بهذا النحو ثلاثة أيام لجيش الشام، وتعرضوا للسلب والنهب والاستغلال من جميع الأطراف، ولم يكن الرجل والمرأة في مأمن من الأذى والضرر.

فكان الناس يقتلون وتنهب وتُصادر أموالهم وممتلكاتهم. والأشد والأنكى من قتل ونهب أهل المدينة المنورة التي فيها الجيل المتبقي من صحابة النبيﷺ والمهاجرين والأنصار، هي أن هذا العسكر الجشع واللامبالي قام باغتصاب النساء، فهتَك النواميس وأعراض أهل المدينة المنورة، فعند هجوم جيش أهل الشام على بيوت مدينة النبيﷺ، هتكوا حرمة الآلاف من النساء، فولدن الآلاف من الأطفال لآباء غير معروفين، ولهذا أطلق على ذريتهم تسميتهم (بأبناء الحرة).

وهكذا امتلأت شوارع المدينة بجثث القتلى التي وصلت دمائها إلى مسجد النبيﷺ وحكم على الأطفال الذين في أحضان أمهاتهم بالموت،

وتعرض صحابة النبيﷺ للتعذيب وسوء المعاملة، وهتكت حرمتهم، وقد بلغ التدمير وشدة التجاوزات في قتل مسلم بن العقبة أنهم أسموه بعد ذلك (بمسرف بن عقبة)، وارتَدَوا على قتلاهم ثياب السواد، وكان يسمع من داخل منازلهم صوت النياحة والبكاء لعام كامل، حزناً على قتلاهم، لم ينقطع أبداً.

وذكر ابن قتيبة: قال أبو معشر: (دخل رجل من أهل الشام على امرأة نفساء من نساء الأنصار ومعها صبي، فقال لها: هل من مال؟ قالت: لا والله ما تركوا لي شيئاً، فقال: والله لتخرجن إليّ شيئاً أو لأقتلنّك وصبيّك هذا.

فقالت له: ويحك إنه ولد ابن أبي كبشة الأنصاري صاحب رسول اللهﷺ، ولقد بايعت رسول اللهﷺ معه يوم بيعة الشجرة على أن لا أزني ولا أسرق ولا أقتل ولدي ولا آتي ببهتان افتريه، فما أتيت شيئاً، فاتّق الله، ثمّ قالت لابنها: يا بني، والله لو كان عندي شيء لافتديتك به.

قال: فأخذ برجل الصبي والثدي في فمه، فجذبه من حجرها فضرب به الحائط، فانتثر دماغه في الأرض، قال: ولم يخرج من البيت حتّى أسود وجهه، وصار مثلاً)[١].

وقال أيضاً: (أنه قُتل من صحابة النبيﷺ ثمانين صحابياً، فلم يبق بعد ذلك اليوم صحابياً بدرياً، وقتل من قريش والأنصار سبعمائة شخص، وقتل من سائر الناس من الموالي والعرب والتابعين عشرات الآلاف من القتلى)[٢]، وأغاروا على المدينة، وافتضوا ألف بكر، (إنَّا لله وإنَّا اليهِ راجِعُونَ).

---

(١) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ج١، ص١٨٤.

(٢) المصدر السابق.

وفي تاريخ اليعقوبي: (فأوقع بأهلها وقعة الحرة، فقاتله أهل المدينة قتالاً شديداً وخندقوا على المدينة فرام ناحية من نواحي الخندق فتعذر ذلك عليه، فخدع مروان بعضَهم فدخل ومعه مائة فارس فأتبعته الخيل حتى دخلت المدينة فلم يبق بها كثير أحد إلا قتل! وأباح حرم رسول الله ﷺ حتى ولدت الأبكار لا يعرف من أولدهن! ثم أخذ الناس على أن يبايعوا على أنهم عبيد يزيد بن معاوية فكان الرجل من قريش يؤتى به فيقال: بايع على أنك عبدٌ قِنٌّ ليزيد، فيقول: لا! فيضرب عنقه)[1].

وفي السيرة الحلبية: (وجالت الخيل في مسجد رسول الله ﷺ وراثت بين القبر الشريف والمنبر! واختفت أهل المدينة حتى دخلت الكلاب المسجد وبالت على منبره! ولم يرض أمير ذلك الجيش من أهل المدينة إلا بأن يبايعوه ليزيد على أنهم خَوَلٌ أي عبيدٌ له إن شاء باع وإن شاء أعتق! حتى قال له بعض أهل المدينة البيعة على كتاب الله وسنة رسوله فضرب عنقه)[2].

وفي فيض القدير: (فقتل من فيها من بقايا المهاجرين والأنصار وخيار التابعين وهم ألف وسبعمائة، ومن الأخلاط عشرة آلاف! قال السمهودي: قال القرطبي: وجالت الخيل في المسجد النبوي وبالت وراثت بين القبر والمنبر، وخَلَت المدينة من أهلها وبقيت ثمارها للعوافي)[3].

وفي شرح منهاج الكرامة: (وقتل جمع من وجوه الناس فيها من قريش والأنصار والمهاجرين بما بلغ عددهم سبعمائة. قتل من لم يعرف من عبد أو حر أو امرأة عشرة آلاف! وخاض الناس في الدماء حتى وصلت الدماء إلى

(١) تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي: ج٢، ص٢٥٠.

(٢) السيرة الحلبية، الحلبي: ج١، ص٢٦٨.

(٣) فيض القدير، المناوي: ج١، ص٥٨.

قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وامتلأت الروضة والمسجد)[١].

وفي سير الذهبي: (قال أبو هارون العبدي: رأيت أبا سعيد الخدري مُمَعَّطَ اللحية! فقال: هذا ما لقيت من ظَلَمة أهل الشام! أخذوا ما في البيت ثم دخلت طائفة فلم يجدوا شيئاً، فأسفوا وأضجعوني فجعل كل واحد منهم يأخذ من لحيتي خصلة!)[٢].

وفي المختصر في اخبار البشر: (وأباح مسلم مدينة النبي صلى الله عليه وآله ثلاثة أيام يقتلون فيها الناس ويأخذون ما بها من الأموال ويفسقون بالنساء)[٣].

وقال ابن أبي الحديد -في ذكر بسر بن أرطاة وما فعل بالحجاز-: (وكان الذي قتل بسر في وجهه ذلك ثلاثين ألفا وحرق قوما بالنار)[٤].

وقال المسعودي، عند ذكره وقعة الحر: (فسير يزيد إليهم بالجيوش من أهل الشام عليهم مسلم بن عقبة المري الذي أخاف المدينة ونهبها وقتل أهلها وبايعه أهلها على أنهم عبيد ليزيد وسماها فتنة وقد سماها رسول الله طيبة وقال: من أخاف المدينة أخافه الله فسمي مسلم هذا - لعنه الله - بمجرم ومسرف لما كان من فعله)[٥].

وحكى البلاذري وغيره: (إنه قتل بالحرة من وجوه قريش سبعمائة رجل وكسر، سوى من قتل من الأنصار، وفيهم ممن صحب رسول الله صلى الله عليه وآله جماعة،

---

(١) شرح منهاج الكرامة، السيد الميلاني: ج١، ص٥٦٧.

(٢) سيرة أعلام النبلاء، الذهبي: ج٣، ص٣٢٤.

(٣) المختصر في اخبار البشر، أبي الفداء: ج١، ص١٩٢.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج٢، ص١٧.

(٥) مروج الذهب، المسعودي: ج٣، ص٦٩.

وممن قتل صبرا من الصحابة عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، وقتل معه ثمانية من بنيه، ومعقل بن سنان الأشجعي، و عبد الله بن زيد، والفضل بن العباس بن ربيعة، وإسماعيل بن خالد، ويحيى ابن نافع، وعبد الله بن عتبة، والمغيرة بن عبد الله، وعياض بن حمير، ومحمد بن عمرو بن حزم، وعبد الله بن أبي عمرو، وعبيد الله وسليمان ابنا عاصم، ونجا الله أبا سعيد وجابرا وسهل بن سعد وقد جاء في قتلى الحرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله: إنهم خيار أمتي بعد أصحابي ثم بايع من بقي على أنهم عبيد ليزيد ومن امتنع قتل. ووقعت يوم ذاك جرائم وفجائع وطامات حتى قيل: إنه قتل في تلكم الأيام نحو من عشرة آلاف إنسان سوى النساء والصبيان، وافتض فيها نحو ألف بكر، وحبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج ولما بلغ يزيد خبر تلك الوقعة المخزية قال: ليت أشياخي ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الأسل)[1].

وكانت هذه الواقعة المعروفة بواقعة الحرّة قبل هلاك يزيد الفاسق بشهرين ونصف.

## موقف الإمام السجاد عليه السلام على الحياد في وقعة الحرة:

من الغريب أن الأنصار مع احترامهم الكبير لأهل البيت عليهم السلام واستشهاد بعضهم مع الإمام الحسين عليه السلام واستنكارهم قتله وإقامتهم العزاء عليه، واستقبالهم المؤثر للإمام زين العابدين عليه السلام والسبايا.. لكنهم لم

---

(١) راجع أنساب الأشراف، البلاذري: ج٥، ص٤٢، والاستيعاب، ابن عبد البر: ج١، ص٢٥٨، وتاريخ ابن كثير، ابن كثير: ج٨، ص٢٢١، والإصابة، ابن حجر: ج٣، ص٤٧٣، ووفاء الوفاء، السمهودي: ج١، ص٨٨و٩٣، الروض الأنف، السهيلي: ج٥، ص١٨٥، ولسان الميزان، ابن حجر: ج٦، ص٢٩٤، والإتحاف، الشبراوي: ص٢٢.

(٥) المختصر في اخبار البشر، أبي الفداء: ج١، ص١٩٢.

يستشيروا الإمام السجادعليه السلام في خلع يزيد، ولا جعلوا ثورتهم بسبب قتل الحسين وآل الرسولعليهم السلام، مع أن ابن الزبير الموصوف بعدائه لعليعليه السلام دعا الناس إلى نفسه وأظهر الطلب بدم الحسينعليه السلام[١].

فكان الأحرى بالأنصار أن ينهضوا ثأراً لأهل بيتهعليهم السلام لأنه ثأرٌ للنبيصلى الله عليه وآله يجب على المسلمين كافة القيام به، ويجب عليهم خاصة لتحالفهم مع النبيصلى الله عليه وآله وبيعتهم له قبل هجرته، على حمايته مما يحمون منه أنفسهم وحماية أهل بيته وذريتهعليهم السلام مما يحمون منه ذراريهم![٢]، لكنهم لم يفعلوا ذلك، بل جعلوا سبب ثورتهم فساد يزيد وفقده الشرعية لأنه فاسقٌ فاجر، وكأن أباه معاوية كانت له شرعية ولم يكن فاسقاً فاجراً!

## خطر جيش يزيد على حياة الإمامعليه السلام:

استمرت مفاوضات جيش يزيد وأهل المدينة أياماً من أواخر ذي الحجة سنة٦٣هـ[٣]، وفي هذه المدة غادر كثير من أهل المدينة، وبعضهم خرجوا منها قبل وصول الجيش الأموي، وأرسل الإمام زين العابدينعليه السلام عياله ومن حماهم في تلك الفترة إلى ينبع[٤]، وبقي بعض عياله في المدينة.

وروت المصادر أن الإمامعليه السلام كان يتخوف من وحشية جيش يزيد أن تصل إليه، وهذا طبيعي حتى وإن كان الإمامعليه السلام يعرف أنه سينجو من القتل لأنه قد يلاقي غير القتل، وحتى لو بلغهعليه السلام أن يزيداً أوصى قائده بعدم

---

(١) الأخذ بالثار، السيدمحسن الأمين: ص١٠.

(٢) المعجم الأوسط، الطبراني: ج٢، ص٢٠٧.

(٣) المصدر السابق: ج٤، ص٣٧٤.

(٤) الخرائج والجرائح، الراوندي: ج١، ص٢٩٠.

التعرض له، فإن بن عقبة طاغية سفاكٌ للدماء، مبغض لأهل البيتعليهم السلام، ولا يحترم مروان بن الحكم ولا غيره سوى شخص يزيد! فمن الممكن أن يرتكب أي حماقة ثم يغفر له يزيد لتاريخه في خدمة بني أمية!

فلذلك أن خطر إقدامه على قتل الإمامعليه السلام كان قائماً حتى مع وصية يزيد!

وتفاوتت الروايات في مجيء الإمامعليه السلام إلى الطاغية بن عقبة، فأشار بعضها إلى أن الإمامعليه السلام كان غائباً عن المدينة، وأنه أخَّر مجيئه حتى كان الطاغية بن عقبة يسأل عنه ويتهدده ويتوعده.

لذلك نرى أن رواية المسعودي التالية أقرب إلى الصحة، قال في مروج الذهب: (ونظر الناس إلى علي بن الحسين السجاد وقد لاذ بالقبر وهو يدعو، فأُتِيَ به إلى الطاغية (مسرف) وهو مغتاظ عليه، فتبرأ منه ومن آبائه، فلما رآه وقد أشرف عليه ارتعد وقام له وأقعده إلى جانبه، وقال له: سلني حوائجك، فلم يسأله في أحد ممن قُدِّم إلى السيف إلا شفَّعَه فيه ثم انصرف عنه، فقيل لعلي: رأيناك تحرك شفتيك فما الذي قلت؟ قال: قلت: اللهم رب السماوات السبع وما أظللن والأرضين السبع وما أقللن، رب العرش العظيم، رب محمد وآله الطاهرين، أعوذ بك من شره وأدرأ بك في نحره، أسألك أن تؤتيني خيره وتكفيني شره)[1].

وقيل لمسلم: (رأيناك تسب هذا الغلام وسلفه، فلما أُتِيّ به إليك رفعت منزلته! فقال: ما كان ذلك لرأي مني، لقد مُلئ قلبي منه رعباً)[2].

---

(١) مروج الذهب، المسعودي: ج٣، ص٧٠.

(٢) الروض المعطار، الحميري: ص٣٢٢.

وأصرح منها رواية المناقب: (سأل ليث الخزاعي سعيد بن المسيب عن إنهاب المدينة؟ قال: نعم شدوا الخيل إلى أساطين مسجد رسول الله ورأيت الخيل حول القبر وانتهب المدينة ثلاثاً، فكنت أنا وعلي بن الحسين نأتي قبر النبي صلى الله عليه وآله فيتكلم علي بن الحسين بكلام لم أقف عليه فيحال ما بيننا وبين القوم ونصلي، ونرى القوم وهم لا يروننا)[١].

وفي رواية بن البطريق في العمدة: (لم يبق بها دارٌ إلا انتهبت سوى دار علي بن الحسين فإنه حماها رجلٌ من أهل الشام تلك الثلاثة الأيام، فلما كان بعد الثلاثة الأيام أخرج له علي بن الحسين ملاءة قد جمع بها حلياً وثياباً من نسائه وقال له: خذ هذا من بنات رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له: لم أفعل ذلك لسبب بل أرجو الجنة، فقال: خذه ولك ما طلبت)[٢].

وهذه الروايات تدل على أن الإمام عليه السلام كان في تلك الأيام في المدينة مع بعض عياله، ومضمونها متناسب مع شخصية الإمام عليه السلام وما ثبت عنه من تصرفاته في لقاءاته مع طغاة بني أمية، كيزيد ومروان عبد الملك،

وفيها دلالات مهمة، منها أن الإمام عليه السلام كان حريصاً في ذلك الظرف الخطر على زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله والصلاة والدعاء في مسجده، بعد أن أهان حرمة المسجد والقبر الشريف وحوش أهل الشام، وربطوا خيولهم فـي أعمدته!

وتدل على أنه يوجد في جيش الشام أفراد شيعة يعرفون مقام أهل البيت عليهم السلام كالذي حمى بيت الإمام عليه السلام من النهب والعدوان، ولا بد أن

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج٣، ص٢٨٤.

(٢) العمدة، ابن بطريق: ص٣٢١.

يكون معه آخر أو آخرون، لهم نفوذٌ مّا في جيش يزيد!

كما أنها تكشف الموقف الحقيقي لمروان بن الحكم، فعندما أحضر بن عقبة الإمامعليهالسلام وأخذ يشتم العترة النبويةعليهمالسلام أخذ مروان يؤمِّن على شتمه ويحرِّضُهُ على قتله، حتى إذا دخل عليه الإمامعليهالسلام وألقى الله على الطاغية هيبته والرعب منه، غَيَّر مروان كلامه فأخذ يمدح الإمامعليهالسلام!

رغم حماية الإمامعليهالسلام لعائلة مروان عندما طردهم أهل المدينة والتي شرحها الطبري: بقوله: (لما أخرج أهل المدينة واليها عثمان بن محمد كلَّم مروان بن الحكم ابن عمر أن يغيب أهله عنده فأبى بن عمر أن يفعل! وكلّم علي بن الحسين وقال: يا أبا الحسن إن لي رحماً وحرمي تكون مع حرمك؟ فقال: أفعل، فبعث بحرمه إلى علي بن الحسين، فخرج بحرمه وحرم مروان حتى وضعهم بينبع)[1].

## مخالفة وصيّة النبيّصلىاللهعليهوآله بأهل المدينة:

خرج جيش مسلم بن عقبة من المدينة المنوّرة محمّلا بالغنائم بعد أن اعتدى على أعراض النساء، متّجهاً نحو مكّة، ضارباً عرض الجدار وصيّة النبيّصلىاللهعليهوآله بمدينته الحبيبة، حيث قالصلىاللهعليهوآله: (مَن أخاف أهل المدينة ظلماً أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً)[2].

(١) تاريخ الطبري، الطبري: ج٤، ص٢٧٣.

(٢) مسند أحمد، ابن حنبل: ج٤، ص٥٥، والمعجم الكبير، الطبراني: ج٧، ص١٤٣.

# الفهرس

(غزوة بني النضير)



(غزوة بني المطلق)



(معركة الخندق)

(غزوة بني قريضة)



(حرب مؤتة)

**(غزوة خيبر)**



**(غزوة حُنَيْن)**



(غزوة تبوك)

**(معركة الجمل)**



**(واقعة صفين)**

**(معركة النهروان)**



**(واقعة الحرة)**






www.imamali.net
tableegh@imamali.net
**07700554186**

